١٣٥
قصة من قصص الصالحين

بكر محمد ابراهيم

مركز الراية للنشر والأعلام



مركز الراية للنشر والاعلام

أسسة احمد فكرى عام ١٩٩٣

٣٠ميدان الحسين – السوق التجارى-مكتبه فكرى –
تليفون ٥٩٣٦٢١٩

اسم الكتاب /١٣٥ قصة من قصص الصالحين

اسم المؤلف / بكر محمد ابراهيم

تصميم الغلاف / EVENT ADVERTISING

م . محمد لبيب ٠١٠١٥٠٧٣٧٠

الطبعه الاولى / يونيو ٢٠٠٣

رقم الايداع / ١١٢٨١ / ٢٠٠٣

الترقيم الدولى / I.S.B.N. : 977 - 354 - 012 - X

المقدمة

الحمد لله المتفرد بصفات الكمال موصوف بالجلال والجمال، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد الموصوف بأعظم الخلال ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وعلى آله صحبه الطيبين الطاهرين ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين .

وبعــد ...

هذا الكتاب يحوى مجموعة من أروع القصص من قصص التراث وهو يقص قصص الكرماء والأسخياء والأبطال والشجعان والأتقياء والآمرين بالمعروف والناهين على المنكر فضلا عن قصص الأذكياء .

وفى ثنايا الكتاب نستمد العبر والعظات والقدوة من خلال مجموعة من العلماء والفقهاء والحكماء والولاة والحكام الذين طبقت شهرتهم الآفاق وحفظ التاريخ سيرتهم وقصصهم وأخبارهم وأقوالهم .

هذا الكتاب يعود بنا إلى أمجادنا الخالدة وتاريخنا القديم نستلهم منه الدروس القيمة والنصائح الغالية التى تستقى من سيرة هؤلاء الأعلام ، ولعلنا فى حاجة إلى استقراء تاريخ الأجداد وقصص الأباء والوقوف على سير الأعلام والنبلاء .

نفع الله به وجعله فى ميزان حسناتنا ومن أخرجه ومن قرأه والكمال لله وحده عليه توكلت وإليه أنيب .

بكر محمد إبراهيم
عضو اتحاد الكتاب

قصص السخاء الكرم

أعلم أن الجود بذل المال ، وأنفعه ما صرف فى وجه استحقاقه ، وقد ندب الله تعالى إليه فى قوله تعالى : ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران]

قيل : إن الجود والسخاء والإيثار بمعنى واحد ، وقيل : من أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء ، ومن بذل الأكثر فهو صاحب جود ، ومن آثر غيره بالحاضر ، وبقى هو فى مقاساة الضرر فهو صاحب إيثار . وأصل السخاء هو السماحة ، وقد يكون المعطى بخيلا إذا صعب عليه البذل .

إن كان به رمق سقيته

فمن الإيثار وما حكى عن حذيفة العدوى أنه قال : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى فى القتلى ومعى شئ من الماء ، وأنا أقول ، إن كان به رمق سقيته ، فاذا أنا به بين القتلى ، فقلت له أسقيك ، فأشار إلى أن نعم ، فسمع آخر يقول آه ، فأشار إلى أن انطلق إليه ، فجئته ، فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام ، فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات . سخا بروحه :

خذ أنت رقعتى

حكى أبو محمد الأزدى قال : لما احترق المسجد بمرو ظن المسلمون أن النصارى أحرقوه ، فأحرقوا حاناتهم ، فقبض السلطان على جماعة من

الذين أحرقوا الحانات ، وكنت رقاً بما فيها القطع والجلد والقتل ونثرها عليهم فمن وقع عليه رقعة فعل به ما فيها ، فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل، فقال : والله ما كنت أبالى لولا أم لى ، وكان بجانبه بعض الفتيان، فقال له : فى رقعتك الجلد وليس لى أم ، فخذ أنت رقعتى أعطنى رقعتك ، ففعل فقتل ذلك الفتى وتخلص هذا الرجل .

هل رأيت قط أسخى منك ؟

وقيل لعبس بن سعد : هل رأيت أسخى منك ؟ قال : نعم ، نزلت بالبادية على امرأة فجاء زوجها ، فقالت له : أنه نزل بنا ضيفان ، فجاءنا بناقة فنحرها ، وقال : شأنكم ، فلما كان من الغد جاء بأخرى فنحرها ، وقال : شأنكم ، فقلنا : ما أكلنا من التى نحرت البارحة إلا القليل ، فقال : إنى لا أطعم ضيفانى البائت ، فبقينا عنده أياما ، والسماء تمطر وهو يفعل كذلك ، فلما أردنا الرحيل وضعنا مائة دينار فى بيته ، وقلنا للمرأة اعتذرى لنا إليه ومضينا ، فلما ارتفع النهار إذا برجل يصيح خلفنا قفوا أيها الركب اللئام ، أعطيتمونا ثمن قرانا ، ثم أنه لحقنا ، وقال : خذوها وإلا طعنتكم برمحى هذا ، فأخذناها .

والقرى طعام الضيف

وقال بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاؤها بما تملك على الخاص العام ، وجميع خصال الخير من فروعه . وقال رسول الله ﷺ : «تجاوزا عن ذنب السخى فإن الله آخذ بيده كلما عثر وفاتح له كلما افتقر ».

وعن جابر بن عبد الله (رضى الله عنه) قال : ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط ، فقال لا ، وعنه ﷺ أنه قال : «السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار ، والبخيل بعيد عن الله ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة قريب من النار ، ولجاهل سخى أحب إلى الله من عابد بخيل .

وقال بعض السلف : منع الموجود سوء ظن بالمقبول ، وتلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩) ﴾ [سبأ]

وقال الفضيل : ما كانوا يعدون القرض معروف :

وقال أكثم بن صيفى : صاحب المعروف لا يقع وإن وقع وجد له متكأ.

وقيل للحسن بن سهل : لا خير فى السرف، فقال : لا سرف فى الخير ، ووجد مكتوبا على حجر : «إنتهز الفرص عند امكانها ولا تحمل نفسك هم ما لم يأتك واعلم أن تقصيرك على نفسك توفير لخزانة غيرك ، فكم من جامع لبعل حليلته (زوجته) .

وقال على (رضى الله عنه) : ما جمعت من المال فوق قوتك فإنما أنت فيه خازن لغيرك ، وقال النعمان بن المنذر يوماً لجلسائه : من أفضل الناس: عيشا وأنعمهم بالأمر وأكرمهم طباعا، وأجلهم فى النفوس قدراً ، فسكت القوم ، فقام فتى فقال : أبيت اللعن ، أفضل الناس من عاش الناس فضله ، فقال : صدقت .

وكان أسماء بن خارجة يقول : ما أحب أن أرد أحداً عن حاجة ، لأنه إن كان كريما أصون عرضه أو لئيما أصون عنه عرضى .

وكان مورق العجلى يتلطف فى إدخال السرور والرفق على إخوانه ، فيضع عند أحدهم البدرة (عشرة آلاف درهم) ويقول له أمسكها حتى أعود إليك ، ثم يرسل يقول له : أنت منها فى حل (أى هى لك حلال) .

وقال الحسن (رضى الله عنه) : باع طلحة بن عثمان (رضى الله عنه) أرضا بسبعمائة ألف درهم ، فلما جاء المال قال : إن رجلا يبيت هذا عنده لا يدرى ما يطرقه لغرير بالله تعالى ثم قسمه فى المسلمين .

ولدت له عباد المدينة

ولما دخل المنكور على عائشة (رضى الله عنها) قال لها : يا أم المؤمنين أصابتنى فاقة (حاجة) فقالت ما عندى شئ ، فلو كان عندى عشرة آلاف درهم لبعثت بها إليك ، فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف درهم من عند خالد بن أسيد ، فأرسلت بها إليه فى أثره ، فأخذها ودخل السوق ، فاشترى جارية بألف درهم ، فولد له ثلاثة أولاد ، فكانوا عبّاد المدينة، وهم محمد وأبو بكر ، وعمر بن المنكور ، وطلحة بن عبيد الله.

أكرم العرب فى الإسلام

وأكرم العرب فى الإسلام طلحة بن عبيد الله (رضى الله عنه) ، جاء إليه رجل ، فسأله برحم بينه وبينه ، فقال : هذا حائطى (بستانى) بمكان كذا وكذا ، وقد أُعطيت فيه مائة ألف درهم ، يراح إلى المال بالعشية ، فإن شئت فالمال ، وإن شئت فالحائط .

رحم آدم عليه السلام

وجاء رجل إلى معاوية (رضى الله عنه) فقال له : سألتك بالرُحم التى بينى وبينك إلا ما قضيت حاجتى فقال له معاوية : أمن قريش أنت ؟ قال : لا ، قال : فأى رحم بينى وبينك ؟ قال : رحم آدم عليه السلام ، قال : رحم مجفوة والله لأكونن أول من وصلها ، ثم قضى حاجته .

أنا لا نعيرها فارغة

وأرسل الأشعث بن قيس إلى عدى بن حاتم يستعير منه قدورا كانت لأبيه حاتم ، فملأها مالا وبعث بها إليه ، وقال : أنا لا نُعيرها فارغة .

أبو سهل الصعلوكى

وكان أبو سهل الصعلوكى من الأجواد ، ولم يناول أحداً شيئاً وإنما كان يطرحه فى الأرض ، فيتناوله الآخذ من الأرض ، وكان يقول : الدنيا أقل خطرا من أن ترى من أجلها يد فوق يد أخرى . وقد قال النبى ﷺ : اليد العليا خير من اليد السفلى .

وسأل معاوية الحسن بن على (رضى الله عنهما) عن الكرم فقال : هو التبرع بالمعروف قبل السؤال ، والرأفة بالسائل مع البذل .

صب له أربعة آلاف درهم

وقدم رجل من قريش من سفر ، فمر على رجل من الأعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأخذ به المرض ، فقال له : يا هذا أعنا على الدهر ، فقال لغلامه : ما بقى معك من النفقة فادفعه إليه ، فصب فى

حجره أربعة آلاف درهم ، فهم ليقوم ، فلم يقدر من الضعف فبكى ، فقال له الرجل : ما يبكيك لعلك استقللت ما دفعناه إليك ؟ فقال : لا الله ولكن ذكرت ما تأكل الأرض من كرمك فأبكانى .

قصد إلى صديق

وقال بعضهم : قصد رجل إلى صديق له فدق عليه الباب ، فخرج إليه وسأله عن حاجته ، فقال : علىّ دين كذا وكذا ، فدخل الدار وأخرج إليه ما كان عليه ، ثم دخل الدار باكيا ، فقال له زوجته : هلا تعللت حيث عسرت عليك الإجابة ، فقال : إنما أبكى لأنى لم اتفقد حاله حتى احتاج إلى أن سألنى .

احمل إليها ثلاثين ألفا

وروى أن عبد الله بن أبى بكر ، وكان من الأجواد ، عطش يوما فى طريقه فاستسقى من منزل امرأة ، فأخرجت له كوزاً ، وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب ، وليأخذه بعض غلمانكم ، فأننى امرأة عزب مات زوجى منذ أيام ، فشرب عبد الله الماء ، وقال : يا غلام احمل إليها عشرة آلاف درهم ، فقالت : سبحان الله أتسخر بى ؟ فقال : يا غلام احمل إليها عشرين ألفا ، فقالت : أسأل الله العافية ، فقال : يا غلام احمل إليها ثلاثين، فما أمست حتى كثر خطابها .

وكان (رضى الله عنه) ينفق على أربعين داراً من جيرانه عن يمينه وأربعين عن يساره، وأربعين أمامه، وأربعين خلفه، ويبعث بالأضاحى والكسوة فى الأعياد، ويعتق فى كل عيد مائة مملوك (رضى الله عنه).

فهو منه فى حل

ولما مرض قيس بن سعد بن عبادة استبطأ إخوانه فى المعيادة (الزيارة) فسأل عنهم فقيل له : إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين ، فقال : أخزى الله مالا يمنع عنى الإخوان من الزيارة ، ثم أمر مناديا ينادى من كان لقيس عنده مال ، فهو منه فى حل ، فكسرت عتبة بابه بالعشى لكثرة العواد .

هى لك هدية

وكان عبد الله بن جعفر من الجود بالمكان المشهود له فيه أخبار يكاد سامعها ينكرها لبعدها عن المعهود ، وكان معاوية يعطيه ألف ألف درهم (مليون) فى كل سنة ، فيفرقها فى الناس ولا يرى إلا عليه دين .

وسمن رجل بهيمة ثم خرج بها ليبيعها ، فمر بعبد الله بن جعفر (رضى الله عنه) فقال : يا صاحب البهيمة أتبيعها ؟ قال لا ، ولكنها لك هدية : ثم تركها له وانصرف إلى بيته ، فلم يلبث إلا يسيرا وإذا بالحمالين على بابه عشرين نفرا عشرة منهم يحملون حنطة (قمحا) ، وخمسة لحما وكسوة ، وأربعة يحملون فاكهة وبقلا ، وواحد يحمل مالا ، فأعطاه جميع ذلك ، واعتذر إليه (رضى الله عنه) .

زدناك ألف ألف

ولما مات معاوية (رضى الله عنه) ، وفد عبد الله بن جعفر على يزيد ابنه ، فقال : كم كان أمير المؤمنين معاوية يعطيك ، فقال : كان رحمه الله

يعطينى ألف ألف ، فقال يزيد : قد زدناك لترحمك عليه ألف ألف . فقال : يأبى وأمى أنت ، فقال : ولهذه ألف ألف ، فقال : أما إنى لا أقولها لأحد بعدك ، فقيل ليزيد : أعطيت هذا المال كله من مال المسلمين لرجل واحد ، فقال : والله ما أعطيته إلا لجُميع المدينة ، ثم وكل به يزيد من صحبه وهو لا يعلم لينظر ما يفعل ، فلما رحل المدينة فرق جميع المال حتى احتاج بعد شهر إلى الدَّين .

كرم الحسن والحسين

وخرج (رضى الله عنه) هو والحسنان ، وأبو دحية الأنصارى (رضى الله تعالى عنهم) مكة إلى المدينة ، فأصابتهم السماء بمطر ، فلجأوا إلى خباء أعرابى ، فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى سكنت السماء ، فذبح لهم الأعرابى شاة ، فلما ارتحلوا قال عبد الله للأعرابى : إن قدمت المدينة ، فسل عنا ، فاحتاج الأعرابى بعد سنين ، فقالت له امرأته : لو أتيت المدينة ، فلقيت أولئك الفتيان ، فقال : قد نسيت أسماءهم ، فقالت : سل عن ابن الطيار ، فأتى المدينة ، فلقى سيدنا الحسين (رضى الله عنه) ، فأمر له بمائة ناقة بفحولها ورعاتها ، ثم أتى الحسين (رضى الله عنه) ، فقال : كفانا أبو محمد مؤنة الإبل ، فأمر له بألف شاة ، ثم أتى عبد الله بن جعفر (رضى الله عنه) ، فقال : كفانى إخواتى الإبل والشاة ، فأمر له بمائة ألف درهم . ثم أتى أبا دحية (رضى الله عنه) ، فقال : والله ما عندى مثل ما أعطوك ، ولكن أئتنى بإبلك ، فأذخرها لك تمرا. فلم يزل اليسار فى عقب الأعرابى من ذلك اليوم .

إن لى عندك يدا

وكان عبد الله بن عباس (رضى الله عنه) من الأجواد ، أتاه رجل وهو بفناء داره ، فقام بين يديه ، قال : ابن عباس إن لى عندك يدا وقد احتجت إليها ، فصعد فيه بصره ، فلم يعرفه ، فقال : ما يدك ؟ قال : رأيتك واقفا بفناء زمزم وغلامك يمنح لك من مائها والشمس قد صهرتك ، فظللتك بفضل كسائى حتى شربت ، فقال : أجل إنى لأذكر ذلك ، ثم قال لغلامه : ما عندك ؟ قال مائتا دينار ، وعشرة آلاف درهم ، فقال : ادفعها إليه ، وما أراها تفى بحق يده .

أكثر من الكرم

وقدم عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) على معاوية مرة ، فأهدى إليه من هدايا النورز وحللا كثيرة ومسكا ، آنية من دهب وفضة ، ووجهها إليه مع حاجبه ، فلما وضعها بين يديه نظر إلى الحاجب ، وهو ينظر إليها ، فقال له : هل فى نفسك منها شئ ؟ قال : نعم ، والله إن فى نفسى منها ماكان فى نفس يعقوب بن يوسف عليهما الصلاة والسلام ، فضحك عبد الله ، وقال : خذها ، فهى لك ، قال : جعلت فداءك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية ، فيحقد علىّ ، قال : فاختمها بخاتمك وسلمها إلى الخازن ، فإذا كان وقت خروجنا حملناها إليك ليلاً ، فقال الحاجب : والله لهذه الحيلة فى الكرم أكثر من الكرم .

قال الحسن والحسين يوما لعبد الله بن جعفر (رضى الله عنهم) : إنك قد أسرفت فى بذل المال ، فقال : بأبى أنتما ، إن الله عز وجل عودنى أن

يتفضل على ، وعودته أن أتفضل على عباده ، فأخاف أن أقطع العادة ، فيقطع عنى المادة.

استحق أكثر مما نال

وامتدحه رجل أسود فأمر له بخيل ، وأثاث ودنانير ودراهم ، فقال له رجل : مثل هذا الأسود تعطى له هذا المال ؟ فقال : إن كان أسود فإن ثناءه أبيض ، ولهذا استحق بما قال أكثر مما نال ، وهل أعطيناه ، إلا ثيابا تبلى ومالا يفنى ، وأعطانا مدحا يُروى وثناء يبقى .

أحمل إليه نصف ما أملكه

وحبس معاوية عن الحسين (رضى الله عنهما) صلاته (أعطياته) ، فقيل : لو وجهت إلى ابن عمك عبد الله بن عباس ، فإنه قدم بنحو ألف ألف، فقال الحسين وأنى تقع ألف ألف من عبد الله ، فوالله لهو أجود من الريح إذا عصفت ، وأسخى من البحر إذا زخر ، ثم وجه إليه مع رسوله بكتاب يذكر فيه حبس معاوية صلاته عنه ، وضيق حاله وأنه يحتاج إلى مائة ألف درهم ، فلما قرأ عبد الله كتابه انهملت عيناه ، وقال : ويلك يا معاوية أصبحت لين المهاد ، رفيع العماد ، والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال ؟ ثم قال لوكيله : احمل إلى الحسين نصف ما أملكه من ذهب وفضة ودواب وأخبره أنى شاطرته ، فإن كفاه وإلا أحمل إليه النصف الثانى ، فلما أتاه الرسول قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثقلت والله على ابن عمى ، وما حسبت أنه يسمح لنا بهذا كله رضوان الله عليهم أجمعين.

لو سبقت حاتما

جاء رجل إلى عبد الله بن عباس (رضى الله تعالى عنهما) فقال له : يا ابن عم محمد ﷺ إنه ولد لى فى هذه الليلة مولود ، وأنى سميته باسمك تبركا بك ، وأن أمه ماتت ، فقال له : بارك الله لك فى الهبة ، وآجرك على المصيبة ، ثم دعا بوكيله ، وقال له : انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه، وادفع لأبيه مائتى دينار لينفقها على تربيته ، ثم قال للأنصارى : عد إلينا بعد أيام ، فانك جئتنا وفى العيش يبس ، وفى المال قلة، فقال الأنصارى : جعلت فداءك لو سبقت حاتماً بين ما ذكرته العرب .

سخاء معن بن زائدة

كان معن بن زائدة من الأجواد وكان عاملا على العراق والبصرة ، قيل : إنه أتى إليه أحد الشعراء ، فأقام ببابه مدة يريد الدخول عليه ، فلم يتهيأ له ذلك ، فقال يوم لبعض الخدم : إذا دخل الأمير البستان ، فعرفنى ، فلما دخل اعلمه بذلك ، فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة وألقاها فى الماء الذى يدخل البستان، وكان معن جالسا على القناة ، فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها فإذا فيها بيت مفرد :

أيا جود معن ناج معنًا بحاجتى ... فليس إلى معن سواك شفيعا

فقال : من الرجل صاحب هذه ؟ فأُتى به إليه ، فقال : كيف قلت ؟ فأنشده البيت ، فأمر له بعشر بدر (مائة ألف درهم) فأخذها وانصرف ، ووضع معن الخشبة تحت بساطه ، فلما كان اليوم الثانى أخرجها من تحت البساط ونظر فيها ، وقال : على بالرجل صاحب هذه ، فأتى به ، فقال

له : كيف قلت ؟ فأنشده البيت ، فأمر له بعشر بدر ، فأخذها وانصرف ، ووضع معن الخشبة تحت بساطه ، فلما كان فى اليوم الثالث أخرجها ونظر فيها، وقال : على بالرجل صاحب هذه ، فأتى به إليه ، فقال له : كيف قلت؟ فأنشده البيت ، فأمر له بعشرة بدر فأخذها وتعكر فى نفسه وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه ، فخرج من البلد بما معه ، فلما كان فى اليوم الرابع طلب الرجل فلم يجده ، فقال معن : لقد ساء والله ظنه ، ولقد هممت أن أعطيه حتى لا يبقى فى بيت مالى درهم ولا دينار .

سخاء يزيد بن المهلب

وكان يزيد بن المهلب من الأجواد الأسخياء ، وله أخبار فى الجود عجيبة ، من ذلك ما حكاه عقيل بن أبى طالب (رضى عنه الله) قال : لما أراد يزيد بن المهلب الخروج إلى واسط أتيته ، فقلت : أيها الأمير إن رأيت أن تأذن لى فاصحبك ، قال : إذا قدمت واسط فأتنا إن شاء الله تعالى، فسافر ، وأقمت فقال لى بعض إخوانى إذهب إليه ، فقلت : كان جوابه فيه ضعيف ، قالوا : أتريد من يزيد جوابا أكثر مما قال ، قال : فسرت حتى قدمت عليه ، فلما كان فى الليل دعيت إلى السمر ، فتحدث القوم حتى ذكروا الجوارى ، فالتفت إلىّ يزيد ، وقال : إيه ياعقيل ، فقلت :

أفاض القوم فى ذكر الجوارى فأمـا الأعزيـون فلـن يقـولـوا

قال : إنك لم تبق عزبًا ، فلما رجعت إلى منزلى إذا أنا بخادم قد أتانى ومعه جارية وفرش بيت وبدرة[1] ، وفى الليلة الثانية كذلك ، فمكثت

(١) كيس به عشرة آلاف درهم

عشر ليالى، وأنا على هذه الحالة ، فلما رأيت ذلك دخلت عليه فى اليوم العاشر ، فقلت أيها الأمير : قد والله أغنيت وأقنيت ، فإن رأيت أن تأذن لى الرجوع ، فأكتب عدوى وأسر صديقى ، فقال : إنما أخيرك بين خلتين إما أن تقيم فنوليك ، أو ترحل فنغنيك .

أمر له بخمسة آلاف

وحدث أبو اليقظان عن أبيه قال ، حج يزيد بن المهلب ، فطلب حلاقا يحلق رأسه ، فجاءه حلاق فحلق رأسه فأمر له بخمسة آلاف درهم ، فتحير الحلاق ودهش ، وقال آخذ هذه الخمسة آلاف وأمضى إلى أم فلان أخبرها أنى قد استغنيت ؟ فقال : أعطوه خمسة آلاف أخرى ، فقال : امرأته طالق إن حلقت رأس أحد بعدك .

إدفع إليه المائة ألف

وحبس الحجاج يزيد بن المهلب على خَرَاج وجب عليه (ضريبة) مقداره مائة ألف درهم ، فجمعت له ، وهو فى السجن ، فجاءه الفرزدق يزوره ، فقال للحاجب : أستأذن لى عليه ، فقال : إنه فى مكان لا يمكن الدخول عليه فيه ، فقال الفرزدق : إنما أتيت متوجعا لما فيه ، ولم آت ممتدحا فأذن له ، فلما أبصره قال :

أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم ... وقال ذووا الحاجات أين يزيد

فما قطرت بالشرق بعدك قطرة ... ولا أخضر بالمرورين بعدك عود

وما لسرور بعد عزك بهجة ... وما لجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب : إدفع المائة ألف درهم التى جمعت لنا ودع الحجاج ولحمى يفعل فيه ما يشاء ، فقال : الحاجب للفرزدق : هذا الذى خفت منه لما منعتك من دخولك عليه ، ثم دفعها إليه ، فأخذها وانصرف.

لا أرضى إلا بالكثير

ومر يزيد بن المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) ، بعجوز أعرابية ، فذبحت له عنزا ، فقال لابنه مامعك من النفقة ؟ قال : مائة دينار ، قال : ادفعها إليها ، فقال : هذه يرضيها اليسير وهى لا تعرفك ، قال : إن كان يرضيها اليسير ، فأنا لا أرضى إلا بالكثير ، وإن كانت لا تعرفنى فأنا أعرف نفسى .

سخاء المتوكل

وقال مروان بن أبى الحبوب الشاعر ، أمر لى المتوكل بمائة ألف وعشرين ألفا وخمسين ثوبا ، ورواحل كثيرة ، فقلت أبياتا فى شكره ، فلما بلغت قولى :

فأمسك ندى كفيك عنى ولا تزيد فقد خفت أن أطغى وأن أتجبرا

فقال : والله لا أمسك حتى أغرقك بجودى ، وأمر له بضياع تُقَوَّم بألف ألف .

سخاء على بن أبى طالب

وقال على بن أبى طالب (رضى الله عنه) : من كانت له حاجة فليرفعها إلى فى كتاب لأصون وجهه عن المسألة فجاءه أعرابى ، فقال : يا

أمير المؤمنين : إن لى إليك حاجة ، الحياء يمنعنى أن أذكرها ، فقال : خطها فى الأرض ، فكتب : إنى فقير فقال : يا قنبر إكسه حلتى فمدحه الأعرابى بأبيات ، فقال : يا قنبر زده مائة دينار .

أمر له بألف ألف

وقال على (رضى الله عنه) : لا تستح من عطاء القليل ، فالحرمان أقل منه ، وسئل أسامة الموصلى عن المخلوع ، فقال : كان أمره عجبا ، كان لا يبالى أين يقعد مع جلسائه ، وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر، وكان عنده سليمان بن أبى جعفر يوما ، فأراد الرجوع إلى أهله ، فقال له سفر البر أحب إليك أم سفر البحر ؟ قال : البحر ألين على ، فقال : أوقروا (ثقلوا وحملوا) له زورقه ذهبا وأمر له بألف ألف درهم .

قسمه بين ذوى الحاجات

وباع عبد الله بن عقبة بن مسعود أرضا بثمانين ألفاً ، فقيل له ، لو اتخذت لولدك من هذا المال ذُخرا ؟ فقال : بل اجعله ذخرا لى ، واجعل الله ذُخرا لولدى ، وقسمه بين ذوى الحاجات .

نعين النازل على الإقامة

وقال المهلب : عجبت لمن يشترى المماليك بماله كيف لا يشترى الأحرار بفعاله . ونزل بأبى البحترى وهب بن وهب القرشى ضيفاً ، فسارع عبيده إلى إنزاله وخدموه أحسن خدمة ، وفعلوا به كل جميل ، فلما هم بالرحيل لم يقربه أحد منهم وتجنبوه ، فانكر ذلك عليهم ، فقالوا : نحن نعين النازل على الإقامة لا نعينه على الرحيل .

سخاء المستعين

وقال أحمد بن حمدون : عملت أم المستعين بساطا على صورة كل حيوان من جميع الأجناس وصورة كل طائر من ذهب ، واعينهم يواقيت وجواهر ، أنفقت عليه مائة ألف ألف دينار وثلاثين ألفا (مائة مليون وثلاثين ألف دينار) ، وسألته أن يقف عليه ، وينظر إليه ، فكسل ذلك اليوم عن رؤيته، قال أحمد بن حمدون : فقال لى ، ولأترجة الهاشمى اذهبا ، فانظرا إليه ، وكان معنا الحاجب ، فمضينا ورأيناه ، فوالله ما رأينا فى الدنيا شيئا أحسن منه ، ولا شيئا حسنا إلا وقد عمل فيه ، فمددت أنا يدى إلى غزال من ذهب عيناه ياقوتان ، فوضعته فى كمى ، ثم جئناه فوصفنا له حسن ما رأيناه ، فقال أترجة : يا أمير المؤمنين : إنه قد سرق منه شيئا ، وغمزه على كمى ، فأريته الغزال ، فقال : بحياتى عليكما ارجعا ، فخذاما أحببتما ، فمضينا، فملأنا أكمامنا وأقبيتنا وأقبلنا نمشى كالحبالى ، فلما رآنا ضحك، فقال بقية الجلساء ونحن فما ذنبنا يا أمير المؤمنين ؟ فقال ، قوموا فخذوا ما شئتم ، ثم قام ، فوقف على الطريق ينظر كيف يحملون ويضحك ، ونظر يزيد المهلبى سطلا من ذهب مملوءة مسكاً فأخذه بيده وخرج ، فقال له المستعين إلى أين ؟ فقال : إلى الحمام يا أمير المؤمنين فضحك من قوله ، وأمر الفراشين والخدم أن ينتهبوا الباقى ، فانتهبوه ، فوجهت أمه إليه تقول : سر الله أمير المؤمنين لقد كنت أحب أن يراه قبل أن يفرقه فإننى أنفقت عليه مائة ألف ألف وثلاثين ألف دينار ، فقال : يحمل إليها مثل ذلك حتى تعيد مثله ، ففعلت ، ومضى حتى رآه ، وفعل به كفعله بالأول .

هى لـك

ودخل طلحة بن عبد الله بن عوف السوق يوماً ، فوافق فيه الفرزدق ، فقال يا أبا فراس : أخذ عشراً من الإبل ، ففعل ، فقال طعم إليها مثلها ، فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال : هى لك .

جرى القلم بخمسمائة ألف

أراد ابن عامر أن يكتب لرجل بخمسين ألف درهم ، فجرى القلم بخمسماة ألف ، فراجعه الخازن فى ذلك ، فقال : أنفذه ، فما بقى إلا الإنفاذ ، وأن خروج المال أحب إلى من الاعتذار ، فاستشرفه الخازن فقال : إذا أراد الله بعبد خيرا صرف القلم عن مجرى إرادة كاتبه إلى إرادته ، وأنا أردت شيئا وأراد الجواد الكريم أن يعطى عبده عشرة أضعافه فكانت إرادة الله هى الغالبة ، وأمره النافذ .

أمر له بمائتى ألف

ووقف أعرابى على ابن عامر ، فقال : يا قمر البصرة ، وشمس الحجاز ، ويا ابن ذروة العرب ، وابن بطحاء مكة ، برحت بى الحاجة ، وأكدت بى الآمال إلا بفنائك ، فامنحنى بقدر الطاقة ، فأمر له بمائتى ألف درهم .

ترك له سبعمائة ألف

ولما أراد الرشيد أن يخرج إلى بعض المتفرجات ، فقال يحيى بن خالد لرجاء بن عبد العزيز وكان على نفقاته : ما عند وكلائنا من الأموال ؟ قال :

سبعمائة ألف درهم ، قال : فاقبضها إليك يا رجاء . فلما كان من الغد دخل عليه رجاء ، فقبل يده وعنده منصور بن زياد ، فلما خرج رجاء قال يحيى لمنصور : قد ظننت أن رجاء توهم أنا قد وهبناه المال ، وإنما أمرناه بقبضه من الوكلاء ليحفظه علينا لحاجتنا إليه فى وجهنا هذا ، فقال منصور أنا استخير لك هذا ، فقال يحيى : إذن يقول لك ، قل له يقبل يدى كما قبلت يده فلا تقل شيئاً ، فقد تركتها له .

وقيل إن الرشيد وصل فى يوم واحد بألف وثلاثمائة ألف وخمسين ألف وصل المنصور فى يوم واحد لبنى هاشم ، ووجوه قواده بعشرة آلاف ألف دينار (عشرة ملايين) .

قسم ماله شطرين

وعن الأخفش الصغير قال : كان أسيد بن عنقاء الفزارى من أكبر أهل زمانة قدرا وأكثرهم أدبا ، وأفصحهم لسانا ، وأثبتهم جنانا ، فطال عمره ونكبه دهره ، فخرج عشية ينتفل لأهله (يطلب عطاءً) فمر به عميله الفزارى ، فسلم عليه ، وقال : ما أصارك ياعم إلى ما أرى ؟ فقال : بخل مثلك بماله وصون وجهى عن مسألة الناس ، فقال : والله لئن بقيت إلى غد لأغيرن ما أرى من حالك ، فرجع ابن عنقاء إلى أهله ، فأخبرها بما قال له عميلة ، فقالت له : لقد غرك كلام غلام فى جنح الليل ، قال : فكأنما ألقمت فاه حجرا وبات متململا بين رجاء ويأس ، فلما كان وقت السحر سمع رغاء الإبل وصهيل الخيل تحت الأموال ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : عميلة قد قسم ماله شطرين ، وبعث إليك بشطره .

قصص الشاكرين

شكر النعمة

أما الشكر الواجب على جميع الخلائق فشكر القلب ، وهو أن يعلم العبد أن النعمة من الله عز وجل ، وأن لا نعمة على الخلق من أهل السموات والأرض إلا وبدايتها من الله حتى يكون الشكر لله عن نفسك ، وعن غيرك والدليل على أن الشكر محله القلب ، وهو المعرفة ، قوله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ... (٥٣) ﴾ [النحل] ، أيقنوا أنها من الله ، وقيل الشكر معرفة العجز عن الشكر .

وقد روى أن داود عليه السلام قال : إلهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك ، فأوحى الله إليه : الآن قد شكرتنى ، وفى هذا يقال : إن الشكر على الشكر أتم الشكر .

ولمحمد الوراق :

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة — على له فى مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله — وإن طالت الأيام واتصل العمر

إذا أمس بالسراء عمر سرورها — وإن مس بالضراء أعقبها الأجر

فما منهما إلا له فيه نعمة — تضيق بها الأوهام والسر والجهر

مناجاة موسى - عليه السلام -

وفى مناجاة موسى عليه السلام: إلهى خلقت آدم بيدك، وفعلت وفعلت، فكيف شكرى؟ فقال : أعلم أن ذلك منى، فكانت معرفته بذلك شكره لى .

شكر اللسان

وأما شكر اللسان، فقد قال تعالى :﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) ﴾ [الضحى] .

ويروى عن النعمان بن بشير (رضى الله عنه) أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والتحدث بالنعم شكر .

وقال عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) : تذكروا النعم ، فإن ذكرها شكر .

شكر الجوارح

وأما الشكر الذى فى الجوارح ، فقد قال الله تعالى : ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣) ﴾ [سبأ] فجعل العمل شكراً .

وروى أن النبى ﷺ قام حتى تورمت قدماه ، فقيل له : يا رسول الله أتفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تقدم ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً .

وقال هارون دخلت على أبى حازم ، فقلت له : يرحمك الله ما شكر العينين ، قال : إذا رأيت لهما خيراً ذكرته ، وإذا رأيت بهما شراً سترته ، قلت : فما شكر الأذنين ؟ قال : إذا سمعت بهما خيراً حفظته ، إذا سمعت بهما شراً نسيته .

وفى حكمة إدريس عليه السلام : لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الأنعام على خلقه ليكون صانعاً إلى الخلق مثل ما صنع الخالق إليه ، فإذا أردت أن تحرس دوام من النعمة من الله تعالى عليك ، فأدم مواساة الفقراء .

وقد وعد الله تعالى عباده بالزيادة على الشكر ، فقال تعالى :

﴿ ... لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ... ۝ ﴾ [إبراهيم] .

علامة يعرف بها الشاكر

وقد جعل الله تعالى لعباده علامة يعرف بها الشاكر ، فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا أنه لم يشكر ، فإذا رأينا الفتى يشكر الله تعالى بلسانه ، وماله فى نقصان علمنا أنه قد أخل بالشكر ، وأما أنه لا يزكى ماله أو يزكيه لغير أهله ، أو يؤخره عن وقته ، أو يمنع حقاً واجباً عليه من كسوة عريان، أو إطعام جائع أو شبه ذلك ، فيدخل فى قول النبى ﷺ : «لو صدق السائل ما أفلح من رده» .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ۝ ﴾ [الرعد] ، وإذا غيروا ما بهم من الطاعات غير الله ما بهم من الإحسان .

وقال بعض الحكماء : من أعطى أربعا لم يُمنع من أربع ، من أعطى الشكر لا يُمنع المزيد ، ومن أعطى التوبة لا يمنع القبول ، ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ، ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب .

وقال المغيرة بن شعبة : أشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك ، فإنه لا بقاء للنعم إذا كفرت ، ولا زوال لها إذا شكرت .

وكان الحسن يقول : ابن آدم متى تنفك من شكر النعمة وأنت مرتهن بها ، كلما شكرت نعمة تجد ذلك بالشكر أعظم منها عليك ، فأنت لا تنفك بالشكر من نعمة إلا إلى ما هو أعظم منها .

وروى أن عثمان بن عفان (رضى الله عنه) دعى إلى أقوام ليأخذهم على ريبة فافترقوا قبل أن يأخذهم عثمان ، فأعتق رقبة شكراً لله تعالى إذ لم يجر على يديه فضيحة مسلم .

وقيل : إذا قصرت يداك عن المكافأة ، فليطل لسانك بالشكر .

وقال ابن عائشة : كان يقال ما أنعم الله على عبد نعمة ، فظلم بها إلا كان حقا على الله تعالى أن يزيلها عنه ، وأنشد أبو العباس بن عمارة فى المعنى :

أعارك مالـه لتقـوم فيـه ... بواجبه وتقضى بعض حقه

فلم تقصـد لطاعـة ولكن ... قويت على معاصيـة برزقه

وقال آخر :

ولو أن لى فى كل منبت شعرة ... لسانا يطيل الشكر كنت مقصراً

وسئل بعض الحكماء :

ما أضيع الأشياء ؟ قال مطر الجود فى أرض سبخة (المالحة) لا

يجف ثراها (ترابها)، ولا ينبت رعاها، وسراج يوتد فى الشمس، وجارية حسناء تزف إلى أعمى، وصنيعة تسدى إلى من لا يشكرها .

هممنا أن نصلك بخير

وقال عبد الأعلى بن حماد : دخلت على المتوكل ، فقال : يا أبا يحيى قد هممنا أن نصلك بخير فتدافعته الأمور ، فقلت : يا أمير المؤمنين بلغنى عن جعفر الصادق أنه قال : من لم يشكر الهمة لم يشكر النعمة .

وأنشدته :

لأشكرن لك معروفا هممت به   فإن همك بالمعـروف معـــروف

ولا ألومك إن لم يمضـــه قـــدر   فالشر بالقدر المحتوم مصروف

وقال عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) : من امتطى الشكر بلغ المزيد ، وقيل : من جعل الحمد خاتمة النعمة جعله الله ناتجه المزيد .

وقال ابن السماك : النعمة من الله تعالى على عبده مجهولة ، فإذا فقدت عرفت ، وقيل : من لم يشكر على النعمة فقد استدعى زوالها .

وقال حكيم : لا تصطنعوا ثلاثة ، اللئيم فإنه بمنزلة الأرض السبخة ، والفاحش فإنه يرى أن الذى صنعت إليه إنما هو لمخافة فحشة ، والأحمق فإنه لا يعرف قدر ما اسديت إليه .

وإذا اصطنعت الكريم فازرع المعروف واحصد الشكر .

دعا فاستجيب له

وعن نصر بن يسار عن عكرمة ، عن ابن عباس (رضى الله عنهما) عن النبى ﷺ أنه قال : من أنعم على رجل نعمة فلم يشكر له فدعا عليه استجيب له ، ثم قال نصر : اللهم إنى أنعمت على بنى سام فلم يشكروا ، اللهم اقتلهم ، فقتلوا كلهم .

وعن على بن الحسين (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله ﷺ : «إن المؤمن ليشبع من الطعام ، فيحمد الله تعالى ، فيعطيه من الأجر ما يعطى الصائم القائم ، إن الله شاكر يحب الشاكرين .

عن محمد بن على : ما أنعم الله على عبد نعمة ، فعلم أنها من الله إلا كتب الله له شكرها قبل أن يحمده عليها ، ولا أذنب عبد ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه إن شاء غفر له وإن شاء أخذه قبل أن يستغفره إلا غفر الله قبل أن يستغفره .

وأولى رجل أعرابيا خيرا ، فقال : لا أبلاك الله ببلاء يعجز عليه صبرك، وأنعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك .

وقال رجل من غطفان :

الشكر أفضل ما حاولت ملتمسا   به الزيـادة عنـد اللـه والنـاس

فى المكافأة على النعمة

قال رسول الله ﷺ : من أسدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تقدروا فادعوا له ، ولما قدم النجاشى على رسول الله ﷺ ، قام يخدمهم بنفسه ،

فقيل له، يا رسول الله : لو تركتنا كفيناك ، فقال : كانوا لأصحابى مكرمين.

اذكر صنيعى

وقيل : أتى رجل من الأنصار إلى عمر بن الخطاب ، فقال :

اذكر صنيعى إذ فاجاك ذو وسفه   يوم السقيـفة والصديق مشغـول

فقال عمر بأعلى صوته : أدن منى ، فدنا منه ، فأخذ بذراعة حتى استشرفه الناس وقال : إلا إن هذا رد عنى سفيها من قومه يوم السقيفة ثم حمله على نجيب (جمل) وزاد على عطائه ، وولاه صدقة (زكاة) قومه وقرأ ﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ (٦٠) ﴾ [الرحمن].

وقال رجل لسعيد بن العاص، وهو أمير الكوفة : لى يد عندك بيضاء ، قال : وما هى ؟ قال : كبت بك فرسك ، فتقدمت إليك قبل غلمانك ، فأخذت بعضدك وأركبتك ، وأسقيتك ماء ، قال : فأين كنت إلى الآن ؟ قال : حجبت عن الوصول إليك ، قال : قد أمرنا لك بمائة ألف درهم ، وبما يملكه الحاجب إذا حجبك عنا ، ثم صادر أموال الحاجب نظير جحوده .

وأسر الحجاج بن يوسف قطرى بن الفجاءة الشاعر الخارجي ثم من عليه فأطلقه ، فقيل له : عاود قتال عدو الله ، فقال : هيهات (بعد) ، ثم قال:

أقاتـل الحجـاج عن سلطانـه   بيد نقـر بأنـهـا مـولاتــه

ماذا أقـول إذا وقفـت إزاءه   فى الصف واحتجت له فعلاته

واجتاز الشافعى رحمه الله تعالى بمصر فى سوق الحدادين ، فسقط

سوطه ، فقام إنسان ، فأخذه ومسحه وناوله إياه ، فقال لغلامه : كم معك ؟
قال : عشرة دنانير ، قال : ادخلها إليه واعتذر له .

واستشهد عبد الملك بن مروان عامر الشعبى ، فأنشده لغير ما شاعر حتى أنشد لحسان :

من سره شرف الحياة فلم يزل ... فى عصبة من صالحى الأنصار
البائعين نفوسهم لنبيهم ... بالمشرفى بالقنا[1] الخطار[2]
الناظرين بأعين محمرة ... كالجمر غير كليلة الأبصار

فقام أنصارى ، فقال : يا أمير المؤمنين استوجب عامر الصلة على ستين من الإبل كما أعطينا حسان يوم قالها ، فقال عبد الله : وله عندى ستون ألفا وستون من الإبل .

وعن على (رضى الله عنه) قال : أحسنوا فى عقب غيركم تحفظوا فى عقبكم .

ركبت حيث يمشى الناس

وقال المدائنى : رأيت رجلا يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ، ثم رأيته ماشيا فى سفر ، فسألته عن ذلك فقال : ركبت حيث يمشى الناس ، فكان حقا على الله أن يرجلنى حيث يركب الناس .

---

(١) المشرفى : السيف.
(٢) القنا الخطار : الرمح الخارق .

معين نعم الله تعالى على النبى ﷺ

قال تعالى :

﴿ وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) ﴾ [الضحى]

وقال تعالى :

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب (٨) ﴾ [الشرح]

فى اصطناع المعروف

قال الله تعالى : ﴿ ...وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧) ﴾ [البقرة] ،

وقال تعالى : ﴿ .. وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ .. (٢) ﴾ [المائدة]

وقال رسول الله ﷺ : من مشى فى عون أخيه ومنفعته ، فله ثواب المجاهدين فى سبيل الله .

وعن أنس (رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال : «الخلق كلهم عيال الله، فأحب خلقه إليه أنفعهم لعياله » (رواه البراز والطبرانى فى معجمه ، ومعنى عيال الله فقراء الله تعالى ، والخلق كلهم فقراء الله تعالى ، وهو يُعولهم .

وفى مسند الشهاب عن عبد الله بن عباس (رضى الله عنه) ، عن النبى ﷺ قال : «خير الناس أنفعهم للناس» .

وعن ابن عباس (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : من سعى لأخيه المسلم فى حاجة ، فقضيت له أو لم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق .

وعن نافع عن ابن عمر (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله ﷺ: من قضى لأخيه المسلم حاجة كنت واقفا عند ميزانه ، فإن رجح وإلا شفعت له . (رواه أبو نعيم فى الحلية) .

وفى مكارم الأخلاق لأبى بكر الخرائطى ، عن أنس (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : من مشى فى حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة ، فإن قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فإن مات فى خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب .

وعن ابن عباس (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ: من مشى فى حاجة أخيه فناصحه فيها جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والأرض. (رواه أبو نعيم وابن أبى الدنيا).

وعن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهما) قال : قال رسول الله ﷺ : إن لله عند أقوام نعما يقرها عندهم ما داموا فى حوائج الناس ما لم يملوا فإذا ملوا نقلها الله إلى غيرهم . (رواه الطبرانى) .

وروى الطبرانى باسناد عن ابن عباس (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : " ما من عبد أنعم الله عليه نعمة ، فاسبغها عليه ثم جعل حوائج الناس إليه ، فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال " .

وعن أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ "من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة ، واحدة منها يصلح بها أخرته ودنياه والباقى فى الدرجات" .

وعن أبى هريرة (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : "أتدرون ما يقول الأسد فى زئيره ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : "يقول : اللهم لا تسلطنى على أحد من أهل المعروف" (رواه أبو منصور الديلمى فى سنة الفردوس) .

وعن ابن عمر (رضى الله عنه) قال : قيل يا رسول الله، أى الناس أحب إليك ؟ قال : "أنفع الناس للناس ، قيل : يا رسول الله ، فأى الأعمال أفضل ؟ قال : إدخال السرور على المؤمن ، قيل وما سرور المؤمن ؟ قال : إشباع جوعته وتنفيس كربته ، وقضاء دينه ، ومن أمسى مع أخيه فى حاجة كان كصيام شهر واعتكافه ، ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام ، ومن كف غضبه ستر الله عورته ، وإن الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل .

وعن أنس (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : من لقى أخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله يوم القيامة . (رواه الطبرانى فى الصغير باسناد حسن) ،

وروى عن عائشة (رضى الله عنها) قالت : قال رسول الله ﷺ : "من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له سرورا دون الجنة" (رواه الطبرانى) .

وعن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن صبره (رضى الله عنهم) قال : قال رسول الله ﷺ : "ما أدخل رجل على المؤمن سرورا إلا خلق الله من ذلك السرور ملكا يعبد الله تعالى ويوحده ، فإذا صار العبد فى قبره أتاه ذلك السرور ، فيقول له : أما تعرفنى ، فيقول له : من أنت : فيقول : أنا السرور الذى أدخلتنى على فلان ، أنا اليوم أؤانس وحشتك وألقنك حجتك وأثبتك بالقول الثابت ، وأشهد مشاهدك يوم القيامة وأشفع لك إلى ربك وأريك منزلك فى الجنة " ، (رواه أبى أبى الدنيا).

عن على بن أبى طالب (رضى الله عنه) يرفعه : "إذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر بها يوم الخميس وليقرأ إذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران وآية الكرسى ، وإنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وأم الكتاب ، فإن فيها حوائج الدنيا والآخرة ، (وهو حديث مرفوع) .

ومن كلام الحكماء : إذا سألت كريما حاجة ، فدعه يفكر فإنه لا يفكر إلا فى خير ، وإذا سألت لئيما حاجة فعاجله ، لئلا يشير عليه طبعه أن لا يفعل .

وقضى حاجته

وسأل رجل رجلا حاجة ، ثم توانى عن طلبها ، فقال له المسؤول : أنمت عن حاجتك ؟ فقال : ما نام عن حاجته من أسهرك لها، ولاعدل بها من قصدك بها ، فأعجب بفصاحته وقضى حاجته وأُمر له بمال جزيل .

أمر له بألف دينار

وقال مسلمة لرجل سلنى ، فقال : كفك بالعطية أبسط من لسانى بالمسألة ، فأمر له بألف دينار .

وقال على (رضى الله عنه) : فوت الحاجة أهون من طلبها من غير أهلها ، وعنه أيضا قال : الا تكثر على أخيك بالحوائج فإن العجل إذا أفرط فى مص ثدى أمه نطحته.

وقال ذو والرياستين لثمامة بن أشرس ما أدرى ما أصنع بكثرة الطلاب ؟ وقال : زل عن موضعك وعلى أن لا يلقاك منهم أحد ، فقال له : صدقت ، وجلس لهم فى قضاء حوائجهم .

فعاودونا

وعرضت على أبى الحسن على بن محمد بن الفرات رقعه فى حاجة لى ، فقرأها ووضعها من يده ، ولم يوقع فيها بشئ ، فأخذتها وقمت وأنا أقوم متمثلا من حيث يسمع هذين البيتين :

وإذا خطبت إلى كريم حاجة ... وأبى فلا تقعد عليه بحاجب

فلربما منع الكريم وما به ... بخل ولكن سوء حظ الطالب

فقال : وقد سمع ما قلت يا أبا جعفر ، بغير سوء حظ الطالب ولكن إذا سألتموا الحاجة ، فعاودونا ، فإن القلوب بيد الله تعالى ، فأخذ الرقعة ووقع بما أردت .

وعن عبد الله بن الحسن بن الحسين (رضى الله عنهما) قال : أتيت باب عمر بن عبد العزيز فى حاجة ، فقال : إذا كانت لك حاجة إلى ، فأرسل إلى رسولا أو أكتب لى كتابا ، فإنى لأستحى من الله أن يراك ببابى.

وعن على بن أبى طالب (رضى الله عنه) قال : والذى وسع سمعه الأصوات ، ما من أحد أودع قلبا سرورا إلا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا، فإذا نزلت به نائبة جرى إليها كالماء فى انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل .

وقال لجابر بن عبد الله الأنصارى (رضى الله عنهما) : يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه ، فإن قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء ، وإن لم يقم فيها بما يجب لله عرضها للزوال ، نعوذ بالله من زوال النعمة .

النعم فى سورة النحل

سورة النحل مشحونة بذكر كثير من نعم الله تعالى على عبادة ، وهى تسمى سورة النعم قال تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ③ خَلَقَ الإنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ④ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ⑤ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ

حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة النحل] .

وقال تعالى :

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النحل]

وقال تعالى :

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١) ﴾ [سورة النحل].

وقال تعالى :

﴿ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (٦٦) وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧) وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠) وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧١) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢) ﴾ [سورة النحل] .

وقال تعالى :

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ (٨٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨١) ﴾ [سورة النحل]

وقال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) ﴾ [النحل]

وقال تعالى :

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) ﴾ [سورة النحل]

نعم الله تعالى على إبراهيم عليه السلام فى سورة النحل :

قال تعالى :

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ﴾ [النحل]

معية الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (١٢٨) ﴾ [النحل]

حصر بعض النعم فى سورة النعم (النحل) :

١) خلق السموات والأرض .

٢) خلق الإنسان من نطفة .

٣) خلق الأنعام (الإبل ، والبقرة ، والغنم ، والماعز)

٤) ذبح الأنعام ودباغة جلودها ولبسها ومنافع أخرى منها الأكل .

٥) حمل الأنعام لأثقال الإنسان إلى بلاد بعيدة وتوفير الوقت والجهد.

٦) الجمال فى الأنعام حين الراحة من العمل والرواح وحين السرج بها صباحا .

٧) خلق الخيل والبغال والحمير وركوبها وما فيها من زينة وخلق غيرها من وسائل المواصلات حتى الآن وما يستجد إلى يوم القيامة .

٨) هداية الله تعالى لكثير من الخلق .

٩) إنزال المطر من السماء للشرب ورى الشجر .

١٠) إنبات الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومختلف الثمرات .

١١) تسخير الليل والنهار لمنافع الإنسان والحيوان وجعل فوائد من النجوم .

١٢) تسخير الشمس والقمر للإنسان مع ما فيها من المنافع العديدة من الضياء والنور والبرق وانضاج الطعام وتجفيف الملابس وقتل الميكروبات وتجفيف الأطعمة واستخدام الشمس كطاقة حرارية من آلاف السنين والحساب وغير ذلك من النعم .

١٣) خلق المخلوقات الأرضية من حيوان ونبات وجماد وسوائل وغازات وغيرها .

١٤) تسخير ما فى البحر من أسماك وحيتان وحيوانات بحرية فمنها ما نأكل ومنها ما نلبسه نتزين به .

١٥) تسخير السفن فى البحار .

١٦) جعل النجوم علامات نهتدى بها فى الصحراء إلى الجهات الجغرافية .

١٧) خلق الجبال رواسى للأرض حتى لا تضطرب وما فى الجبال من منافع منها تثبيت القشرة الأرضية وتثبيت الغلاف الجوى للأرض حتى لا ينفلت فى الفضاء وتكوين الطمى من الجبال واحتواء الجبال على المعادن الثمينة وتسبب الجبال فى سقوط الأمطار وغير ذلك من النعم .

١٨) خلق الأنهار نشرب ماءها ونتخذ منها وسائل المواصلات وتستخرج منها السمك وغير ذلك .

١٩) خلق الطرق المختلفة فى الأرض لنسير عليها ونقضى مصالحنا ونسعى إلى معايشنا .

٢٠) غفران الله تعالى للذنوب ورحمته بعباده .

٢١) اللجوء إلى الله تعالى فى الشدة فيكشف عنا الضر .

٢٢) إمهال الله تعالى لعباده وعدم معاجلتهم بالعقوبة والهلاك .

٢٣) إحياء الأرض بالمطر وإخراج النبات .

٢٤) إخراج اللبن من الأنعام مارا بين البول والغائط والدم .

٢٥) رزق الله تعالى للإنسان من الثمر والبلح والعنب واتخاذ الشراب من الفاكهة .

٢٦) خلق النحل الذى يستخرج منه العسل الذى جعل الله تعالى فيه شفاء لكثير من الأمراض وجعل فيه غذاء للإنسان ، الوحى إلى النحل ليرشده إلى مقومات حياته وصناعة خلايا ومص الرحيق .

٢٧) خلق الله تعالى لنا وتقدير أعمارنا .

٢٨) تفضيل بعض الناس على بعض فى الرزق .

٢٩) جعل الله لنا من أنفسنا أزواجا وبنين وحفدة ورزقه لنا من الطيبات.

٣٠) اخراجنا من بطون أمهاتنا بعناية وقدرة ورحمة ثم يعلمنا شيئاً فشيئاً .

٣١) إلهام الله تعالى لنا لبناء البيوت واتخاذ بيوت من جلود الأنعام يقينا الحر والبرد .

٣٢) خلق الظلال والأكنان من الجبال والملابس ودروع الحرب .

٣٣) رحمة الله تعالى لنا بتشريع العدل والإحسان وايتاء ذى القربى النهى عن الفحشاء والمنكر والبغى .

٣٤) أنزل القرآن لهدايتنا ونسخ بعض الأحكام للتخفيف عنا وتثبيت المؤمنين بالقرآن .

٣٥) أنعم الله تعالى على إبراهيم عليه السلام باجتبائه وهدايته إلى الصراط المستقيم وايتاءه فى الدنيا حسنة وجعله من الصالحين الفائزين فى الآخرة والأمر باتباعه والاقتداء به عليه الصلاة السلام .

٣٦) معية الله تعالى للمتقين والمحسنين .

فهذه بعض نعم الله تعالى الواردة فى سورة النحل وكل نعمة منها تحتوى على كثير من النعم وإذا استعرضنا القرآن وجدنا نعم الله لا تقدر ولا تحصى حيث أنعم سبحانه وتعالى على المؤمنين وعلى الأنبياء بل إن رحمته تعالى وسعت كل شئ فلله الحمد والمنة سبحانه لا نحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه.

قصص الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

المشورة والنصيحة

قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)﴾ [آل عمران]

واختلف أهل التأويل فى أمره بالمشاورة مع ما أمره الله تعالى من التوفيق على ثلاثة أوجه :

أولها : أنه أمره بها فى الحرب ليستقر له الرأى الصحيح ، فيعمل عليه ، وهذا قول الحسن .

ثانيها : أنه أمره بالمشاورة لما علم فيها من الفضل ، وهذا قول الضحاك .

ثالثها : أنه أمره بمشاورتهم ليستن به المسلمون وإن كان فى غنية عن مشورتهم ، هذا قول سفيان.

وقال سفيان بن عيينة : كان رسول الله ﷺ إذا أراد أمراً شاور فيه الرجال ، وكيف يحتاج إلى مشاورة المخلوقين من الخالق مدبر أمره ولكنه تعليم منه ليشاور الرجل الناس ، وإن كان عالما .

وقال ﷺ : ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار ، ولا افتقر من اقتصد.

وقال ﷺ : من أعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بعقله زل .

وكان يقال : ما استنبط الصواب بمثل مشاورة ، وقال حكيم : المشورة موكل بها التوفيق لصواب الرأى .

وقال الحسن : الناس ثلاثة ، فرجل رجل ، ورجل نصف رجل ، ورجل لا رجل ، فأما الرجل الرجل فذو الرأى والمشورة ، وأما الرجل الذى هو نصف رجل ، فالذى له رأى ولا يشاور ، وأما الرجل الذى ليس برجل ، فالذى ليس له رأى ولا يشاور .

وقال المنصور لوالده : خذ عنى اثنتين : لا تقل من غير تفكير ، ولا تعمل بغير تدبير ، وقال الفضل : المشورة فيها بركة وإنى لاستشير حتى هذه الحبشية الأعجمية ، وقال أعرابى : لا مال أوفر من العقل ، ولا فقر أعظم من الجهل ، ولا ظهر أقوى من المشورة .

وقيل : من بدأ بالاستخارة ، وثنى بالاستشارة ، فحقيقة أن لا يخيب رأيه ، وقيل : الرأى السديد أحمى من البطل الشديد .

وقال على (رضى الله عنه) خاطر من استغنى برأيه .

وقال الشاعر :

إن اللبيـــب إذا تفـــرق أمـــره فتق الأمـور مناظـرا ومشـــاورا

وأخـو جـهالـه يستبـد برأيـــه فتراه يعتسف الأمور[1] مخاطرا

وقال آخر :

خليلى ليس الرأى فى جنب واحد أشـيرا على اليـوم ما تريـــان

(١) يميل بها عن الصواب جهلا منه .

وجه فيه ألف عين

ووصف رجل عضد الدولة فقال : وجه فيه ألف عين ، وفم فيه ألف لسان ، وصدر فيه ألف قلب .

وقال حكيم : أربعة تحتاج إلى أربعة : الحسب إلى الأدب ، والسرور إلى الأمن ، والقرابة إلى المودة ، والعقل إلى التجربة ، وقال : لا تستحقر الرأى الجزيل من الرجل الحقير، فإن الدرة لا يستهان بها لهوان غائطها(١).

وقال جعفر بن محمد : لا تكونن أول مشير ، وإياك والرأى الخطر ، وتجنب ارتجال الكلام ولا تشيرن على مستبد برأيه ، ولا على متلون ، ولا على لحوح .

وقيل : ينبغى أن يكون المستشار صحح العلم ، مهذب الرأى ، فليس كل عالم يعرف الرأى الصائب ، وكم فاقد فى شئ ضعيف فى غيره .

قال أبو الأسود الدؤلى :

وما كل ذى نصح بمؤتيك نصحه   وما كـل مؤت نصحــه بلبيــب

ولكن إذا ما استجمعا عند واحد   فحــق له من طــاعة بنصــيب

وكان اليونان والفرس لا يجمعون وزراءهم على أمر يستشيرونهم فيه وإنما يستشيرون الواحد منهم من غير أن يعلم الآخر به لمعان شتى منها :

١) لئلا يقع بين المستشارين منافسة ، فتذهب إصابة الرأى ، لأن من

---

(١) من يغوص فى البحر ليستخرجها .

طباع المشتركين فى الأمر التنافس ، والطعن من بعضهم فى بعض ، وربما سبق أحدهم بالرأى الصواب فحسدوه وعارضوه .

٢) وفى اجتماعهم للمشورة تعريض السر للإذاعة ، فإذا كان كذلك وأذيع السر لم يقدر الملك على مقابلة من أذاعه بالاتهام ، فإن عاقب الكل عاقبهم بذنب واحد ، وإن عفا عنهم ألحق الجانى بمن لا ذنب له .

وقيل : إذا أشار عليك صاحبك برأى ولم تحمد عاقبته فلا تجعلن ذلك عليه لوما عتابا بأن تقول : أنت فعلت ، وأنت أمرتنى ، ولولا أنت ، فهذا كله ضجر ولؤم وخفة .

إذا استشارك عدوك

وقيل : إذا استشارك عدوك فجرد له النصيحة لأنه بالاستشارة قد خرج من عداوتك إلى موالاتك .

وقيل : من بذل نصحة واجتهاده لمن لا يشكر فهو يكن بذر فى السباخ .

قال الشاعر يمدح من له رأى وبصيرة :

بصير بأعقاب الأمور كأنما　　　يخاطبه من كل أمر عواقبه

وقال ابن المعتز :

المشورة راحة لك ، وتعب على غيرك ، وقال الأحنف : لا تشاور الجائع حتى يشبع ، ولا العطشان حتى يروى ، ولا الأسير حتى يطلق ، ولا المقل حتى يجد .

قلت : وقال الشافعى : لا تسأل عالما ليس فى بيته دقيق .

ولما أراد نوح من مريم قاضى مروان أن يزوج ابنته استشار جارا له مجوسيا ، فقال : سبحان الله : الناس يستفتونك وأنت تستغنى ، قال : لابد أن تشير على ، قال : إن رئيس الفرس كان يختار المال ، ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال ، ورئيس العرب كان يختار الحسب ، ورئيسكم محمد كان يختار الدين ، فانظر لنفسك بمن تقتدى

من أعطى أربعا

وكان يقال : من أعطى أربعا لم يمنع أربعا ، من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ، ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ، ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ، ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب .

وقيل : إذا استخار الرجل ربه واستشار صحبه وأجهد رأيه فقد قضى ما عليه ، ويقضى الله فى أمره ما يجب ،

هؤلاء لا يشاورون

وقال بعضهم : لا تشاور كثير القعود مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ، ولا خائفاً ، ولا حاقناً (١).

وقيل : سبعة لا ينبغى لصاحب أن يشاورهم ، جاهل ، وعدو ، وحسود ، ومراء ، وجبان ، وبخيل ، وذو هوى ، فإن الجاهل يضل ، والعدو يريد الهلاك، والحسود يتمنى زوال النعمة ، والمرائى واقف مع رضا الناس،

(١) الحاقد : من يحتاج لقضاء الحاجة من بول أو غائط .

والجبان من رأيه الهرب ، والبخيل حريص على جمع المال فلا رأى له فى غيره ، وذو الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفته .

نصيحة صائبة

وحكى أن رجلا من أهل يثرب يعرف بالأسلمى قال :

ركبنى دين أثقل كاهلى ، وطالبنى به مستحقوه ، واشتدت حاجتى إلى مالا بد منه ، وضاقت على الأرض ، ولم اهتد إلى ما أصنع فشاورت من أثق به من ذوى المودة والرأى ، فأشار على بقصد المهلب به أبى صفرة بالعراق ، فقلت له : تمنعى المشقة وبعد الشقة ورتبة الملهب ، ثم إنى عدلت عن ذلك المشير إلى استشارة غيره ، فلا والله مازادنى على ماذكره الصديق الأول ، فرأيت قبول المشورة خيراً من مخالفتها ، فركبت ناقتى وصحبت رفقة فى الطريق ، وقصدت العراق ، فلما وصلت دخلت على المهلب ، فسلمت عليه،

وقلت له : اصلح الله الأمير إنى قطعت إليك الفلاة ، وضربت أكباد الإبل من يثرب ، فأنه أشار على بعض ذوى الحجى والرأى بقصدك لقضاء حاجتى ، فقال : هل أتيتنا بوسيلة أو بقرابة عشيرة ، فقلت : لا ، ولكنى رأيتك أهلا لقضاء حاجتى ، فإن أقمت بها فأهل لذلك أنت ، وأن يحل دونها حائل لم أذم يومك ، ولم أيأس من غدك ، فقال : المهلب لحاجبه : إذهب وادفع إليه ما فى خزانة مالنا الساعة ، فأخذنى معه، فوجدت فى خزائنه ثمانين ألف درهم ، فدفعها إلى ، فلما رأيت ذلك لم أملك نفسى فرحا وسرورا ، ثم عاد الحاجب مسرعا به إليه .

فقال : هل ما وصلك يقوم بقضاء حاجتك ؟ فقلت : نعم أيها الأمير وزيادة ، فقال : الحمد لله على نجح سعيك، واجتنائك جنى مشورتك وتحقق ظن من أشار عليك بقصدنا، قال الأسلمى : فلما سمعت كلامه وقد أحرزت صلته أنشدته وأنا واقف ببابه .

يا من على الجود صاغ الله راحته

فليس يحسـن غير البـذل الجـود

عرف عطاياك أهل الأرض قاطبـة

فأنت والجـود منحـتـان من عـود

من استشار فبـاب النجح منفتـح

لديـه ما ابتغـاه غـير مـردود

ثم عدت إلى المدينة فقضيت دينى ، ووسعت على أهلى ، وجازيت المشير على وعاهدت الله تعالى أن لا أترك الاستشارة فى جميع أمورى ما عشت .

المشورة تنجيه من القتل

وحكى عن الخليفة المنصور أنه كان صدر من عمه عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس أمور مؤلة لا تحتملها حراسة الخلافة ولا تتجاوز عنها سياسة الملك فحبسه عنده ، ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن على ، وكان واليا على الكوفة ما أفسد عقيدته فيه ، وأوحشه منه ، وصرف وجه ميله إليه عنه ، فتألم المنصور من ذلك وساء ظنه ، وتأرق جفنه ، وقل

أمنه ، وتزايد خوفه وحزنه ، فأدته فكرته إلى أمر دبره وكتمه عن جميع حاشيته وسترة واستحضر ابن عمه عيسى بن موسى وأجراه علي عادة إكرامه ، ثم أخرج من كان بحضرته وأقبل على عيسى وقال له :

يا ابن العم إنى مطلعك على أمر لا أحد غيرك من أهله ، ولا أرى سواك مساعدا لى على حمل ثقله ، فهل أنت فى موضع ظنى بك ، وعامل ما فيه بقاء نعمتك التى هى منوطة ببقاء ملكى ، فقال له عيسى : أنا عبد أمير المؤمنين ونفسى طوع أمره ونهيه ، فقال : إن عمى وعمك عبد الله قد فسدت بطانته ، واعتمد على ما بعضه يبيح دمه ، وفى قتله صلاح ملكنا ، فخذه إليك واقتله سراً ، ثم سلمه إليه ، وعزم المنصور على الحج مضمراً أن ابن عمه عيسى إذا قتل عمه عبد الله ألزمه القصاص ، وسلمه إلى أعمامه أخوه عبد الله ليقتلوه به قصاصاً ، فيكون قد استراح من الاثنين .

قال عيسى : فلما أخذت عمى وفكرت فى قتله رأيت من الرأى أن أشاور فى قضيته من له الرأى عسى أن أصيب الصواب فى ذلك .

فأحضرت يونس بن قرة الكاتب ، وكان لى حسن ظن فى رأيه ، وعقيدة صالحة فى معرفته ، فقلت له : إن أمير المؤمنين دفع إلى عمه عبد الله وأمرنى بقتله وإخفاء أمره ، فما رأيك فى ذلك وما تشير به.

فقال لى يونس : أيها الأمير احفظ نفسك بحفظ عمك وعم أمير المؤمنين ، فإنى أرى لك أن تدخله فى مكان داخل دارك تكتم أمره عن كل أحد ممن عندك وتتولى بنفسك حمل طعامه وشرابه إليه ، وتجعل دونه مغالق وأبوابا، وأظهر لأمير المؤمنين أنك قتلته وأنفذت أمره فيه ، وانتهيت

إلى العمل بطاعته ، فكأنى إذا تحقق منك أنك فعلت ما أمرك به ، وقتلت عمه أمرك باحضاره على رؤوس الأشهاد ، فإن اعترفت أنك قتلته بأمره أنكر أمره لك وأخذك بقتله وقتلك .

قال عيسى بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها ، وأظهرت لأمير المؤمنين أنى نفذت أمره ، ثم حج المنصور ، فلما قدم من حجه وقد استقر فى نفسه أننى قتلت عمه عبد الله دس إلى عمومته أخوة عبد الله ، ومنهم على أن يسألوا عن أخيهم ، ويستوهبوه منه ، فجاؤوا إليه قد جلس والناس .

بين يديه على مراتبهم ، فسألوه فى عبد الله فقال : نعم إن حقوقكم تقتضى إسعافكم بما جئتكم كيف وفيها صلة رحم وإحسان إلى من هو فى مقام الوالد ، ثم أمر باحضار عيسى بن موسى ، فأحضر لوقته فقال : يا عيسى كنت قد دفعت إليك قبل خروجى إلى الحج عمى عبد الله ليكون عندك فى منزلك إلى حين رجوعى .

فقال عيسى : قد فعلت يا أمير المؤمنين ، فقال المنصور : وقد سألنى فيه عمومتك وقد رأيت الصفح عنه وقضاء حاجتهم وصلة الرحم باجابة سؤالهم فيه ، فائتنا به الساعة ، قال عيسى : فقلت يأمير المؤمنين ألم تأمرنى بقتله والمبادرة إلى ذلك ؟ قال : كذبت لم آمرك بذلك ولو أردت قتله لأسلمته إلى من هو يصدد ذلك ، ثم أظهر الغيظ ، وقال لعمومته : قد أقر بقتل أخيكم مدعيا أننى أمرته بقتله ، وقد كذب علىّ .

قالوا : يا أمير المؤمنين فادفعه إلينا لنقتله به ونقتص منه ، فقال :

شأنكم به ، قال عيسى فأخذونى واجتمع الناس على ، فقام واحد من عمومتى إلى رسل سيفه ليضربنى به ، فقلت له : يا عم أفاعل أنت ؟ قال : أى والله كيف لا أقتلك وقد قتلت أخى فقال لهم : لا تعجلوا وردونى إلى أمير المؤمنين فردونى إليه فقلت : يا أمير المؤمنين إنما أردت قتلى بقتله، والذى دبرته على عصمنى الله تعالى من فعله ، وهذا عمك باق حى سوى، فإن أمرتنى بدفعه إليهم دفعته الساعة، فأطرق المنصور ، وعلم أن ريح فكره صادفت إعصاراً وأن الفزارى بتدبيره فار فى خساراً ، ثم رفع رأسه،

وقال : أئتنا به ، فمضى عيسى وأحضر عبد الله ، فلما رآه المنصور قال لعمومته : اتركوه عندى وانصرفوا حتى أرى فيه رأيا ، قال عيسى : فتركته وانصرفت وانصرف إخوته ، فسلمت روحى ، وزالت كربتى ، وكان ذلك ببركة الاستشارة بيونس وقبل مشورته والعمل بها ، ثم إن المنصور أسكن عبد الله فى بيت أساسه قد بنى على الملح ثم أرسل الماء عليه ليلا فذاب الملح وسقط البيت فمات عبد الله ، ودفن بمقابر باب الشام ، وسلم عيسى من هذه المكيدة ومن سهام حرابها البعيدة .

ما جاء فى النصيحة

النصيحة للمسلمين وللخلائق من سنن المرسلين ، قال الله تعالى إخبارا عن نوح عليه الصلاة السلام :

﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [هود]

وقال شعيب عليه السلام : ﴿ ... وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣) ﴾ [الأعراف]

الدين النصيحة

وقال صالح عليه السلام : ﴿ ... وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩) ﴾ [الأعراف]

وروى عن أبى هريرة (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ قال : "إن الدين النصيحة ، إن الدين النصيحة ، إن الدين نصيحة ، قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

فالنصح لله هو وصفه بما هو أهله وتنزيهه عما ليس له أهل ، والقيام بتعظيمه ، الخضوع له ظاهرا وباطناً ، والرغبة فى محابه البعد عن مساخطه ، وموالاة من اطاعه، ومعاداة من عصاه، والجهاد فى رد العصاة إلى طاعته قولاً وفعلاً .

والنصيحة لكتابه إقامته بالتلاوة ، وتحسينه عند القراءة ، وتفهم ما فيه والذب عنه من تأويل المحدثين وطعن الطاعنين ، وتعليم ما فيه للخلائق أجمعين .

قال الله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٢٩) ﴾ [ص]

والنصيحة للرسول ﷺ إحياء سنته بالطلب لها وإحياء طريقته فى بث الدعوى ، وتأليف الكلمة ، والتخلق بالأخلاق الطاهرة ، والنصيحة للأئمة

معاونتهم على ما كلفوا القيام به بتبنبيههم عند الغفلة، إرشادهم عند الهفوة، وتعليمهم ما جهلوا ، وتحذيرهم ممن يريد بهم السوء ، وإعلامهم بأخلاق عمالهم وسيرتهم فى الرعية ، وسد خلتهم عند الحاجة ، ورد القلوب النافرة إليهم .

والنصيحة العامة للمسلمين الشفقة عليهم ، وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم وتفريج كربهم وتوقى ما يشغل خواطرهم ، ويفتح باب الوسواس عليهم .

النصيحة مرة

واعلم أن جرعة النصيحة مرة لا يقبلها إلا أولو العزم ، وقال ميمون بن مهران : قال لى عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) : قل لى فى وجهى ما أكره ، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له فى وجهه ما يكره .

ودك من نصحك

وفى منثور الحكم : ودك من نصحك وقلاك (هجرك وجفاك) من مشى فى هواك .

وقال أبو الدرداء(رضى الله عنه) : إن شئتم لانصحن لكم ، إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله تعالى إلى عباده ويعملون فى الأرض نصحا .

ولورقة بن نوفل :

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم   إنى النذير فلا يغرركم أحد

لا شئ مما ترى تبقى بشاشته الإلـه ويـردى المـال الـولد

وقال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد : إنى قد أعددتك لأمر ، قال : يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى قد أعد لك منى قلبا معقودا بنصيحتك ، ويدا مبسوطة لطاعتك ، وسيفا مجرداً على عدوك .

وقيل : أشار فيروز بن حصين على يزيد بن المهلب أن لا يضع يده فى يد الحجاج فلم يقبل منه ، وسار إليه ، فحبسه وحبس أهله فقال فيروز :

أمرتك أمراً حـازما فعصـيتنى فأصبحت مسلوب الإمارة نادما

أمرتـك بالحجـاج إذ أنت قـادر فنفسك أولى اللوم إن كنت لائما

فما أنا بالباكى عليـك صبابـة وما أنا بالداعـى لترجـع سالما

ويقال : من أصفر وجهه من النصيحة ، أسود لونه من الفضيحة .

الو صايا الحسنة والموعظة

قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) ﴾ [النحل]

قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) ﴾ [النحل]

وقال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران]

وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة التوبة] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [آل عمران] ، والآيات فى ذلك كثيرة .

وروى الإمام مسلم بن أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنهما) قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان .

وقال الإمام محيى الدين النورى (رحمه الله تعالى) فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [المائدة]

إن هذه الآية الكريمة مما يغتر بها أكثر الجاهلين ويحملونها على غير وجهها بل الصواب فى معناها أنكم إذا فعلتم ما أمرتم به لا يضركم ضلالة من ضل.

قلت : وهذا التفسير منقول عن أبى بكر الصديق (رضى الله عنه)

ومن جملة ما أمروا به الأمر بالمعروف النهى عن المنكر ، والآية مرتبة فى المعنى على قوله تعالى : ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ ﴾ [المائدة : ٩٩]

ومن كلام على (رضى الله عنه) : لا تكونن ممن لا تنفعه الموعظة إلا إذا بالغت فى إيلامه ، فإن العاقل يتعظ بالأدب ، والبهائم لا تتعظ إلا بالضرب.

وأنشد الجاحظ :

وليس يزجركم ما توعظـون به　　والبهم يزجرها الراعى فتنزجر

عظ الناس بفعلك

وكتب رجل إلى صديق له : أما بعد ، فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك ، واستح من الله بقدر قربه منك ، وخفه بقدر قدرته عليك ، قيل : من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ .

الموعظة تشق على السفيه

وقال نعمان : الموعظة تشق على السفيه كما يشق صعود الوعر على الشيخ الكبير .

العبد الآبق

وقيل : أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: إنك إن أتيتنى بعبد آبق (هارب) كتبتك عندى حميداً، ومن كتبته عندى حميداً لم أعذبه بعدها أبداً .

هل أحد أحب إليك من نفسك ؟

وقال الرشيد لمنصور بن عمار : عظنى وأوجز ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هل أحد أحب إليك من نفسك ؟ قال : لا ، قال : إن أردت أن لا تسئ إلى من تحب فافعل ، يقصد لا تعرضها لغضب الله فتعذب .

من خطب الرسول ﷺ

وقال النبى ﷺ في بعض خطبه : "أيها الناس الأيام تطوى ، والأعمار تفنى ، والأبدان فى الثرى تبلى ، فإن الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد ويقربان كل بعيد ، ويخلقان (يبليان) كل جديد ، وفى ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب فى الباقيات الصالحات .

لقد وعظتنى

ولما لقى ميمون بن مهران الحسن البصرى قال له : لقد كنت أحب أن ألقاك فعظنى، فقرأ الحسن البصرى : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ (٢٣)﴾ [الجاثية] ، ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (٢٠٧)﴾ [الشعراء]

فقال : عليك السلام أبا سعيد لقد وعظتنى أحسن موعظة .

موعظة بليغة للإمام على (رضى الله عنه)

ولما ضرب ابن ملجم (لعنه الله) - عليا (رضى الله عنه) ، دخل منزله فاعترته غشية ثم أفاق ، فدعا الحسن والحسين (رضى الله عنهما) وقال : أوصيكما بتقوى الله تعالى ، والرغبة فى الآخرة ، والزهد فى الدنيا ، ولا تأسفاً على شئ فاتكما منها ، فإنكما راحلان ، افعلا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ، ثم دعا محمدا ولده (محمد بن الحنفية «رضى الله عنه) وقال له : أما سمعت ما أوصيت به أخويك ، قال : بلى ، قال : فإنى أوصيك به ، وعليك بر أخويك وتوقيرهما ، ومعرفة فضلهما ، ولا تقطع أمرا

دونهما ، ثم أقبل عليهما ، وقال : أوصيكما به خيراً ، فإنه أخوكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان أن أباه كان يحبه ، فأحباه ، ثم قال :

يا بنى أوصيك بتقوى الله فى الغيب والشهادة ، وكلمة الحق فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى الفقر ، والعدل فى الصديق والعدو ، والعمل فى النشاط والكسل ، والرضا عن الله فى الشدة الرخاء ، يا بنى ما شر بعده الجنة بشر ، ولا خير بعده النار بخير ، وكل نعيم دون الجنة حقير، وكل بلاء دون النار عافية .

يا بنى من أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره ، ومن رضى بما قسم الله له لم يحزن على ما فاته ، ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيها ، ومن هتك حجاب أخيه هتكت عورات بنيه ، ومن نسى خطيئته استعظم خطيئة غيره ، ومن أعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بغفلة زل ، ومن تكبر على الناس زل ، ومن خالط الأنذال احتقر ، ومن دخل مداخل السوء أتُّهم ، ومن جالس العلماء وقر ، ومن فرح استخف به ، ومن أكثر من شئ عرف به ، ومن كثر كلامه كثر خطؤه وقل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعة[1] ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار .

يا بنى الأدب ميزان الرجل ، وحسن الخلق خير قرين ، يا بنى العافية عشرة أجزاء : تسعة منها فى الصمت إلا عن ذكر الله تعالى ، وواحدة فى ترك مجالسة السفهاء .

يا بنى زينة الفقر الصبر ، وزينة الغنى الشكر ، يا بنى لا شرف أعلى

---

(١) الورع : التقوى.

من الإسلام ولا عز أعز من التقوى ولا شفيع أنجح من التوبة ، ولا لباس أجمل من العافية ، يا بنى الحرص مفتاح التعب ومطية النصب (التعب) .

ترك جميع ما جمع

ولما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر إلى أهله يبكون حوله فقال : جاد لكم هشام بالدنيا ، وجدتم له بالبكاء ، وترك جميع ما جمع ، وتركتم عليه ما حمل ، ما أعظم منقلب هشام إن لم يغفر الله له .

قلت : انظر إلى رحمك الله هذا حال الملوك عند الاحتضار وكلامهم فما بالك بآحاد الناس، وكيف أن الأشراف على الآخرة يزلزل أقوى الرجال ويخلع أثبت القلوب ويذل أعناق الجبابرة والأكاسرة والقياصرة .

موعظة للأوزاعى - رحمه الله تعالى -

وقال الأوزاعى للمنصور فى بعض كلامه : يا أمير المؤمنين أما علمت أنه كان بيد رسول الله ﷺ جريدة يابسة يستاك بها ويروع بها المنافقين ، فأتاه جبريل (عليه السلام) ، فقال : يا محمد ما هذه الجريدة التى بيدك ؟ أقذفها لاتملأ قلوبهم رعباً ، فكيف بمن يتجرعه ، ولو أن ثوبا من النار وضع على الأرض لأحرقها ، فكيف بمن يتقمصه ، ولو أن حلقة من سلاسل جهنم، وضعت على جبل لذاب ، فكيف بمن يتسلسل بها ، ويرد فضلها (زيادتها) على عاتقه ؟ .

موعظة لأسلم بن عبد الله بن عمر

(رضى الله عنهما)

روى زيد بن أسلم تلك الموعظة عن أبيه لرجل من آل البيت :

احذر أن يأتى رجل غدا ليس له فى الإسلام نسب ، ولا أب ولا أم فيكون أولى برسول الله ﷺ منك ، كما كانت امرأة فرعون أولى بموسى ، وكما كانت امرأة نوح وامرأة لوط أولى بفرعون ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه (لم يرفعه) ومن أسرع به عمله لم يبطئ به نسبه .

كلمـــة حـــق

وروى زيـاد عن مالـك بن أنـس (رضى الله عنهما) قـال : لما بعث أبو جعفر إلى مالك بن أنس وابن طاووس قال : دخلنا عليه وهو جالس على فرش ، وبين يديه انطاع قد بسطت ، وجلادون بأيديهم السيوف يضربون الأعناق ، فأومأ إلينا أن اجلسا فجلسنا ، فأطرق زمانا طويلا ثم رفع رأسه والتفت إلى ابن طاووس وقال :

حدثنى عن أبيك ، قال : سمعت أبى يقول : قال رسول الله ﷺ : "إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله تعالى فى ملكه [1] ، فأدخل عليه الجور (الظلم) فى حكمه .

(١) أى جعله ملكا أو أميراً أو وزيراً أو رئيساً أى ولاه ولاية فالله تعالى لا يشرك فى حكمه ولا فى ملكه أحداً يحكم لا معقب لحكمه ولا يُسأل عما يفعل ولا شريك له ولا ند ولا وزير ولا مشير ، قال تعالى : ﴿ مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة الكهف] .

أبو جعفر ساعة حتى أسود ما بيننا وبينه قال : مالك ؟ فضممت ثيابى مخافة أن ينهالها شئ من دم ابن طاووس[1] ، ثم قال : يا ابن طاووس ناولنى هذه الدواة، فأمسك عنه ، فقال : ما يمنعك أن تناولنيها، قال أخاف أن تكتب بها معصية ، فأكون شريكك فيها .

فلما سمع ذلك قال : قوما عنى : فقال ابن طاووس : ذلك ما كنا نبغى ، قال : مالك : فمازلت أعرف لابن طاووس فضله من ذلك اليوم.

وروى أن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) قال لكعب الأحبار : يا كعب خوفنا ، قال : أو ليس فيكم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ؟ قال : بلى يا كعب ، ولكن خوفنا ، فقال : يا أمير المؤمنين اعمل ، فإنك لو وافيت يوم القيامة يعمل سبعين نبيا لازدريت عملك[2] مما ترى ، فنكس عمر رأسه ، وأطرق مليا ، ثم رفع رأسه، وقال : يا كعب خوفنا ، فقال : يا أمير المؤمنين لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه، حتى يسيل من حرها فنكس رأسه عمر ثم أفاق ، فقال يا كعب زدنا .

فقال : يا أمير المؤمنين إن جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة ، فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا جثا على ركبيته يقول : يارب لا أسألك اليوم إلا نفسى .

وعن عمر (رضى الله عنه) إذا رأيتم أخاكم زل زلة فقوموه سددوه ، وادعوا الله أن يرجع به إلى التوبة، فيتوب عليه ، ولا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم .

(١) أى توقع أن يقتله أبو جعفر المنصور لجرأته وشدة صراحته .

(٢) لاحتقرته واستصغرته من شدة أهوال القيامة .

قصص الأذكياء

فوائد الحيلة

الحيلة من فوائد الآراء المحكمة وهى حسنة ما لم يستبح بها محظور، وقد سئل بعض الفقهاء عن الحيل فى الفقه فقال : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤) ﴾ [ص]

وكان ﷺ إذا أراد غزوة – ورى بغيرها، وكان يقول «الحرب خدعة» ولما أراد عمر (رضى الله عنه) قتل الهرمزان استسقى ماء فأتوه بقدح فيه ماء ، فأمسكه فى يده واضطرب فقال له عمر لا بأس عليك حتى تشربه ، فألقى القدح من يده فأمر عمر بقتله : فقال : أو لم تؤمنى ؟ قال : كيف أمنتك ، قال : قلت لا بأس عليك حتى تشربه وقولك لا بأس عليك أمان ولم أشربه ، فقال عمر : قاتلك الله أخذت منى أمانا ولم أشعر .

وكان دهاة العرب أربعة ، كلهم ولدوا بالطائف : معاوية وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، والسائب بن الأقرع .

ومن الحكم : الحاجة تفتح أبواب الحيل، ومنها : ليس العاقل الذى يحتال للأمور إذا وقع فيها ، بل العاقل الذى يحتال للأمور أن لا يقع فيها .

قصة السلسلة

دُليت من السماء سلسلة فى أيام داود عليه السلام عند الصخرة التى فى وسط بيت المقدس ، وكان الناس يتحاكمون عندها فمن مديده إليها وهو صادق نالها ومن كان كاذبا لم ينلها إلى أن ظهرت فيهم الخديعة، فارتفعت،

وذلك أن رجلا أودع رجلا جوهرة ، فخبأها فى مكان فى عكازة ، ثم إن صاحبها طلبها من الذى أودعها عنده فأنكرها ، فتحاكما عند السلسلة ، فقال المدعى : اللهم إن كنت صادقا فلتدن فى السلسلة ، فدنت منه فمسها فدفع المدعى عليع العكازة للمدعى ، وقال : اللهم إن كنت تعلم إنى رددت الجوهرة إليه ، فلتدن منى السلسلة ، فدنت منه فمسها ، فقال الناس : قد سوت السلسلة بين الظالم المظلوم ، فارتفعت بشؤم الخديعة ، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام : أن أحكم بين الناس بالبينة ، فيبقى ذلك إلى قيام الساعة .

دهاء المختار بن عبيدة الثقفى

كان المختار بن أبى عبيدة الثقفى من دهاة ثقيف وثقيف دهاة العرب، وقيل إنه وجه إبراهيم بن الأشتر إلى حرب عبيد الله بن زياد ، ثم دعا برجل من خواصه فدفع إليه حمامة بيضاء وقال له : إن رأيت الأمر عليكم فأرسلها، ثم قال للناس : إنى لأجد فى محكم الكتاب ، وفى اليقين الصواب أن الله ممدكم بملائكة غضاب صعاب، تأتى فى صدر الحمام تحت السحاب، فلما كادت الدائرة تكون على أصحابه عمد ذلك الرجل إلى الحمامة، فأرسلها، فتصايح الناس الملائكة الملائكة وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد .

قصة الذئب والصبى

روى أبو هريرة (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ أنه قال : خرجت امرأتان ومعهما صبيان فعدا الذئب على صبى إحداهما فأكله ، فاختصما

فى الصبى الباقى إلى داود عليه السلام فقال : كيف أمركما ؟ فقصتا عليه القصة ، فحكم به للكبرى منهما فاختصما فى الصبى الباقى إلى سليمان عليه السلام فقال : أئتونى بسكين أشق الغلام نصفين لكل منكما نصف ، فقالت الصغرى أتشقه يا نبى الله ؟ قال: نعم ، قالت : لا تفعل ونصيبى فيه للكبرى ، فقال : خذيه فهو ابنك ، وقضى به لها .

سارق الأوز

وجاء رجل إلى سليمان بن داود عليهما السلام فقال : يا نبى الله أن لى جيرانا يسرقون أوزى ، فلا أعرف السارق ، فنادى الصلاة جامعة ، ثم خطبهم خطبة وقال فى خطبته ، وإن أحدكم ليسرق أوز جاره ، ثم يدخل المسجد والريش على رأسه ، فمسح الرجل رأسه ، فقال سليمان : خذوه فهو صاحبكم.

كيف حسابك مع أهلك ؟

وخطب المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امرأة ، وكان شابا جميلا ، فأرسلت إليهما أن يحضرا عندها محضرا وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما ، فلما رأى المغيرة ذلك الشاب ، وعاين جماله علم أنها تؤثره عليه ، فأقبل على الفتى ، وقال : لقد أوتيت جمالا فهل عندك غير هذا ؟ قال : نعم ، تعدد محاسنه ثم سكت ،

فقال له المغيرة ، كيف حسابك مع أهلك ؟ قال : ما يخفى على منه شئ وإنى لأستدرك منه أدق من الخردل ، فقال المغيرة : لكنى أضع البدرة (عشرة آلاف درهم) فى بيتى ، فينفقها أهلى على ما يريدون فلا أعلم

بنفاذها حتى يسألونى غيرها ، فقالت المرأة : والله لهذا الشيخ الذى لا يحاسبنى أحب إلى من هذا الذى يحصى على مثقال الذرة، فتزوجت المغيرة.

الحلوى المسمومة

وبلغ عضد الدولة أن قوما من الأكراد يقطعون الطريق ، ويقيمون فى جبال شامخة ولا يقدر عليهم ، فاستدعى بعض التجار ودفع إليه بغلا عليه صندوقان فيهما حلوى مسمومة كثيرة الطيب فى ظروف فاخرة ، ودنانير وافرة ، وأمره أن يسير مع القافلة ويظهر أن هذه هدية لأحد نساء الأمراء ، ففعل التاجر ذلك، وسار أمام القافلة، فنزل القوم ، فأخذوا الأمتعة والأموال، وانفرد أحدهم بالبغل، وصعد به الجبل ، فوجد به الحلوى ، فقبح على نفسه أن ينفرد بها دون أصحابه ، فاستدعاهم ، فأكلوا على مجاعة فماتوا عن آخرهم ، وأخذ أرباب الأموال أموالهم .

وأنت أخذت المال

وأتى بعض الولاة برجلين قداتهما بسرقة ، فأقامهما بين يديه ، ثم دعى بشربة ماء ، فجئ له بكوز ، فرماه بين يديه ، فارتاع أحدهما وثبت الآخر ، فقال للذى ارتاع ، إذهب إلى حال سبيلك ، وقال للآخر : أنت أخذت المال ، وتلذذت به ، وتهدده فأقر ، فسئل فى ذلك ، فقال : إن اللص قوى القلب ، والبرئ يجزع لو تحرك عصفور لفزع منه .

إدفع إلى مالى

وقصد رجل الحج، فاستودع إنسانا مالا، فلما عاد طلبه منه ، فجحده المستودع ، فأخبر القاضى إياسا ، فقال : أعلم أحد بأنك جئتنى قال : لا ، قال : فعد إلى بعد يومين، ثم أن القاضى إياسا بعث إلى ذلك الرجل ، فأحضره، ثم قال له: اعلم أنه قد تحصلت عندى أموال كثيرة لأيتام وغيرهم ودائع للناس وإنى مسافر سفراً بعيداً وأريد أن أودعها عندك لما بلغنى من دينك وتحصين منزلك ، فقال : حبا وكرامة ، قال : فاذهب وهىء موضعا للمال وقوما يحملونه ، فذهب الرجل وجاء صاحب الوديعة فقال له القاضى إياس : امض إلى صاحبك ، وقل له ادفع إلى مالى وإلا شكوتك للقاضى إياس ، فلما جاء ، وقال له ذلك دفع إليه ماله واعتذر إليه ، فأخذه وأتى إلى القاضى إياس وأخبره ، ثم بعد ذلك أتى رجل ومعه الحمالون لطلب الأموال التى ذكرها القاضى ، فقال له القاضى بعد أن أخذ الرجل ماله منه : بدا لى ترك السفر امض لشأنك لا أكثر الله فى الناس مثلك .

أخذ بثأره من قاتله

ولما أراد شيرويه قتل أبيه أبرويز قال أبرويز للداخل عليه ليقتله : إنى لأدلك على شئ فيه غناك لوجوب حقك على ، قال : وما هو ؟ قال : الصندوق الفلانى ، فلما قتله وذهب إلى شيرويه وأخبره الخبر ، فأخرج الصندوق فإذا فيه حق فيه حب ، ورقعة مكتوب فيها، من تناول منه حبة واحدة افتض عشرة أبكار وكان لشيروية غرام فى الباه[1] فتناول منه حبة فهلك من ساعته ، فكان أبرويز أول مقتول أخذ بثأره من قاتله .

(١) الجماع .

لم تخلفت ؟

ولما بايع الرشيد لأولاده الثلاثة بولاية العهد تخلف رجل مذكور من الفقهاء ، فقال له الرشيد : لم تخلفت ؟ فقال : عاقنى عائق ، فقال : أقرأوا عليه كتاب البيعة ، فقال:يا أمير المؤمنين : هذه البيعة فى عنقى إلى قيام الساعة ، فلم يفهم الرشيد ما أراد ، وظن أنه إلى قيام الساعة يوم الحشر ، وما أراد الرجل إلا قيامه من المجلس .

لا خير لك فيها

وقال المغيرة بن شعبة : لم يخدعنى غير غلام من بنى الحرث بن كعب، فإنى ذكرت امرأة منهم لأتزوجها، فقال : أيها الأمير لا خير لك فيها، فقلت : لم ؟ قال : رأيت رجلا يقبلها فأعرض عنها ، فتزوجها الفتى ، فلمته ، وقلت ألم تخبرنى أنك رأيت رجلا يقبلها ؟ قال : نعم ، رأيت أباها يقبلها .

ما حملك على هذا ؟

وأتى رجل إلى الأحنف ، فلطمه ، فقال : ما حملك على هذا ؟ فقال : جعل لى جُعل[1] على أن ألطم سيد بنى تميم ، فقال : لستُ بسيدهم عليك بحارثة بن قدامة ، فأنه سيدهم ، فمضى إليه ، فلطمه ، فقطعت يده .

كيف يولون غيره

وقال الشعبى : وجهنى عبد الملك إلى ملك الروم ، فقال لى : من أهل بيت الخلافة أنت ؟ قلت : لا ، ولكنى رجل من العرب ، فكتب إلى عبد الملك

(١) مكافأة .

رقعه دفعها إلى ، فلما قرأها عبد الملك قال لى : أتدرى ما فيها ؟ قلت : لا، قال : فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف يولون أمرهم غيره ، قال أتدرى ما أراد بهذا ؟ قلت : لا ، قال : حسدنى عليك ، فأراد أن أقتلك ، فقلت : إنما كبرت عنده يا أمير المؤمنين لأنه لم يترك شيئا إلا سألنى عنه ، وأنا أجيبه ، فبلغ ملك الروم ما قاله عبد الملك للشعبى ، فقال : لله أبوه ماعدا ما فى نفسى .

استلقى على قفاه من الضحك :

ولما ولى عبد الملك بن مروان أخاه بشرا الكوفة وكان شابا ظريفا غزلا، بعث معه روح بن زنباع وكان شيخاً متورعا، فثقل على بشر مرافقته، فذكر ذلك لندمائه ، فتوصل بعض ندمائه إلى أن دخل بيت روح بن زنباع ليلا فى خفية فكتب على حائط قريب فى مجلسه :

يا روح مـــن لبنـــات وأرملـــــة إذا نعاك لأهل المغـرب النـــاعى

إن ابن مروان قد حانت منيتـــــه فاحتل بنفسك يا روح بن زبنـــاع

فتخوف من ذلك وخرج من الكوفة ، فلما وصل إلى عبد الملك أخبره بذلك ، فاستلقى على قفاه من شدة الضحك ، وقال : ثقلت على بشر وأصحابه ، فاحتالوا عليك .

فتح خيبر

لما فتح النبى ﷺ خيبر وأعرس بصفته[1] ، وفرح المسلمون جاءه

---

(١) دخل بها .

الحجاج بن الملاط السلمى ، وكان أول من أسلم فى تلك الأيام وشهد خيبر، فقال يا رسول الله : إن لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة ولى مال متفرق عند تجار مكة ، فأذن لى يا رسول الله فى العود إلى مكة عسى أن أسبقه خبر إسلامى إليهم فإنى أخاف إن علموا بإسلامى أن يذهب جميع مالى بمكة فأذن لى لعلى أخلصه ، فأذن له رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنى أضاح إلى أن أقول[1] ، فقال له رسول الله ﷺ : قل وأنت فى حل ، قال الحجاج فخرجت ، فلما انتهيت إلى الثنية ثنية البيضاء وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الأخبار ، وقد بلغهم أن رسول الله ﷺ سار إلى خيبر ، فلما أبصرونى قالوا : هذا لعمر الله عنده الخبر ، أخبرنا يا حجاج ، فقد بلغنا أن القاطع يعنون محمدا ﷺ قد سار إلى خيبر ، قال : قلت : إنه سار إلى خيبر وعندى من الخبر ما يسركم ، قال : فأحدقوا حول ناقتى يقولون إيه يا حجاج ؟ قال : فقلت هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وأسر محمد وقالوا : لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة، فيقتلونه بين أظهرهم عمن أصاب من رجالهم ، قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقدم به عليكم، فيقتل بين أظهركم ، قال : فقلت : أعينونى على جمع مالى من غرمائى فإنى أريد أن أقدم خيبر ، فأغنم من ثقل محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى هناك ، فقاموا معى ، فجمعوا لى مالى كأحسن ما أحب ، فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر أقبل على حتى وقف إلى جانبى ، وأنا فى خيمة من خيام التجار ، فقال : يا حجاج ما هذا الخبر الذى جئت به ؟ قال : فقلت وهل عندك حفظ لما أودعه عندك

---

(١) نوع من الكذب المباح يسمي التعريض .

من السر ؟ فقال : نعم والله ، قال : قلت استأخر عنى حتى ألقاك على خلاه[1] ، فإنى فى جمع مالى كما ترى ، فانصرف عنى حتى إذا فرغت من جمع كل شئ كان لى بمكة ، وأجمعت على الخروج ، ولقيت العباس فقلت له : احفظ على حديثى يا أبا الفضل ، فإنى أخشى أن يتبعونى ، فاكتم على ثلاثة أيام ، ثم قل ما شئت ، قال : لك على ذلك ، قال : قلت والله ما تركت ابن أخيك إلا عروسا على ابنة ملكهم يعنى صفية ، وقد افتتح خيبر، وغنم ما فيها وصارت له ولأصحابه ، قال : أحق ما يقول يا حجاج؟ قال : قلت أى والله ، ولقد أسلمت ، وما جئت إلا مسلما لأخذ مالى خوفا من أن أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاثة ، فاظهر أمرك فهو والله على ما تحب، قال : فلما كان فى اليوم الرابع لبس العباس حلة له وتخلق بالطيب ، وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة ، فطاف بها ، فلما رأوه قالوا : يا أبا الفضل هذا والله هو التجلد لحر المصيبة ، قال : كلا والذى حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وتُرك عروسا على ابنة ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها ، فأصبحت له ولأصحابه ، قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلما وأخذ ماله وانطلق ليلحق محمدا وأصحابه ليكون منهم ، قالوا : تفلت عدو الله أما والله لو علمنا به لكان لنا وله شأن ، قال : ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك ، فتوصل الحجاج بفطنته واحتياله إلى تخليصه وتحصيل ماله .

---

(١) خلوة .

خدعة نعيم بن مسعود

فى موقعة الخندق

ولما اجتمعت الأحزاب على حرب رسول الله ﷺ عام الخندق ، وقصدوا المدينة، وتظاهروا وهم فى جمع كثير وجم غفير ، قريش وغطفان، وقبائل العرب بنى النضير ، وبنى قريظة من اليهود ، ونازلوا رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين ، واشتد الأمر ، واضطرب المسلمون ، وعظم الخوف على ما وصفه الله تعالى فى قوله تعالى : ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً (١١)﴾ [الأحزاب]

فجاء نعيم بن مسعود بن عامر الغطفانى إلى رسول الله ﷺ ، فقال يا رسول الله : إنى قد أسلمت وإن قومى لم يعلموا بإسلامى ، فمرنى بما شئت ، فقال له رسول الله ﷺ : خذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة، فخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة وكان نديما لهم فى الجاهلية ، فقال يا بنى قريظة ، قد علمتم ودى إياكم وخاصة ما بينى بينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم ، فقال لهم : إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم ، فإن البلد بلدكم وبه أموالكم ، وأبناؤكم ، ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه وأموالهم وأولادهم ونساؤهم بغير بلدكم ، وليسوا مثلكم لأنهم إن رأوا فرصة اغتنموها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم

حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً ،

قالوا : أشرت بالرأى ، ثم أتى قريشا ، فقال : لأبى سفيان بن حرب: وكان إذ ذاك قائد المشركين من قريش ومعه من كبراء قريش : قد علمتم ودى لكم ، وفراقى محمداً ، وإنه قد بلغنى أمر وأحببت أن أبلغكموة نصحا لكم ، فأكتموه على قالوا : نعم ، قال : اعلموا أن معشر يهود بنى قريظة قد ندموا على مافعلوا فيما بينهم وبين محمد ، قد أرسلوا إليه يقولون : إنا قد ندمنا على نقض العهد الذى بيننا وبينك ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم ، فنسلمهم إليك فتضرب رقابهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم ، فتستأصلهم .

فأرسل يقول نعم ، فإن بعث إليكم يهود بنى قريظة يلتمسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحداً ، ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ، فلما كانت ليلة السبت أرسل رؤوس بنى غطفان إلى بنى قريظة يقولون لهم : إنا لسنا بدار مقام ، وقد هلك الخف والحافر ، فاعتدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ فيما بيننا وبينه ، فأرسلوا لهم يقولون لهم : إن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً ولسنا مع ذلك بالذين تقاتل محمداً حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً ، فإنا نخشى أن اهمتكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا ولا طاقة لنا به .

فلما رجعت إليهم أرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان : والله إن الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا إلى بنى قريظة يقولون : إنا لا ندفع إليكم رجلا واحداً من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا وقاتلوهم ، فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل ، إن الكلام الذى ذكره نعيم بن مسعود لحق ، وما يريد القوم إلا أن تقاتلوا ، فإن رأو فرصته انتهزوها ، وإن كان غير ذلك شمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم ، فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا ، فأبوا عليهم ، فخذل الله تعالى بينهم ، وأرسل عليهم الريح ، فتفرقوا وارتحلوا ، وكان هذا من لطف الله تعالى أن ألهم نعيم بن مسعود هذه الفتنة وهداه إلى اليقظة التى عم نفعها وحسن وقعها .

ومن الحكم

من أيقظ نفسه فألبسها لباس التحفظ أيس عدوه من كيده له وقطع عنه أطماع الماكرين به .

اليقظة حارس لا ينام ، وحاكم لا يرتشى ، فمن تدرع بها أمن من الاختلال والغدر الجور والكبر والمكر .

أنين امرأة

وروى عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) أنه قال : خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فى ليلة من الليالى يطوف يتفقد أحوال المسلمين ، فرأى بيتا من الشعر مضروبا ، فلم يكن قد رآه بالأمس ، فدنا منه ، فسمع فيه أنين امرأة ، ورأى رجلا قاعداً ، فدنا منه ، وقال له :

من الرجل ؟ فقال له : رجل من البادية قدمت إلى أمير المؤمنين لأصيب من فضله ، قال : فما هذا الأنين ؟ قال : امرأة تتمخض[1] قد أخذها الطلق ، قال : فهل عندها أحد ؟ قال : لا ، فانطلق عمر فقال لامرأته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب بنت فاطمة الزهراء (رضى الله عنها) : هل لك فى أجر قد ساقه الله تعالى لك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : امرأة تتمخض ليس عندها أحد . قالت : إن شئت ، قال : فخذى معك ما يصلح للمرأة من الخرق والدهن ، وائتنى بقدر وشحم وحبوب .

فجاءت به ، فحمل القدر ، ومشت خلفه حتى أتى البيت ، فقال : ادخلى إلى المرأة ، ثم قال للرجل : أوقد لى نارا ، ففعل ، فجعل عمر ينفخ النار ويضربها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى نضجها وولدت المرأة ، فقالت أم كلثوم (رضى الله عنها) : بشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغلام ، فلما سمعها الرجل تقول يا أمير المؤمنين ارتاع خجل ، وقال : واخجلتاه منك يا أمير المؤمنين أهكذا تفعل بنفسك ؟ قال : يا أخا العرب : من ولى شيئا من أمور المسلمين ينبغى له أن يتطلع على صغير أمورهم وكبيره ، فأنه عنها مسئول ومتى غفل عنها خسر الدنيا والآخرة ، ثم قام عمر (رضى الله عنه) ، وأخذ القدر من على النار وحملها إلى باب البيت ، وأخذتها أم كلثوم ، وأطعمت المرأة ، فلما استقرت وسكنت طلعت أم كلثوم ، فقال عمر (رضى الله عنه) للرجل قم إلى بيتك وكل ما فى البرمة ، وفى غد أئت إلينا ، فلما أصبح جاءه ، فجهزه بما أغناه وانصرف .

---

(١) تلد .

هب هذه لتلك

وكان (رضى الله عنه) من شدة حرصه على تعرف الأحوال وإقامة قسطاس العدل وإزاحة أسباب الفساد وإصلاح الأمة يعسى بنفسه ، ويباشر أمور الرعية سرا فى كثير من الليالى حتى أنه فى ليلة مظلمة خرج بنفسه فرأى فى بعض البيوت سراجاً ، وسمع حديثا ، فوقف على الباب يتجسس ، فرأى عبدا أسود أمامه إناء فيه مزر (خمر) وهو يشرب ومعه جماعة ، فهم بالدخول من الباب ، فلم يقدر من تحصين البيت ، فتسور على السطح ونزل إليهم من الدرجة ، ومعه الدرة ، فلما رأوه قاموا ، وفتحوا الباب وانهزموا فمسك الأسود ، فقال له يا أمير المؤمنين : قد أخطأت وأنى تائب ، فأقبل توبتى ، فقال : أريد أن أضربك على خطيئتك . فقال : يا أمير المؤمنين : إن كنت قد أخطأت فى واحدة ، فأنت قد أخطأت فى ثلاث: فإن الله تعالى قال : ﴿ ولا تجسسوا ﴾ [الحجرات : ١٢] وأنت تجسست، وقال تعالى : ﴿ وأتو البيوت من أبوابها ﴾ [البقرة : ١٨٩] وأنت دخلت وما سلمت ، فهب هذه لهذه ، وأنا تائب إلى الله تعالى على يدك أن لا أعود ، فاستتوبه ، واستحسن كلامه .

كاد يغشى عليه

وكان معاوية (رضى الله عنه) يسلك طريق عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فى ذلك وكان زياد بن أبيه يسلك مسلك معاوية فى ذلك حتى نقل عنه أن رجلا كلمه فى حاجة له وجعل يتعرف إليه ويظن أن زيادا لا يعرفه ، فقال : أنا فلان فتبسم زياد وقال له : أتتعرف إلى، وأنا أعرف بك منك بنفسك؟

والله إنى لأعرفك وأعرف أباك وأعرف أمك ، وأعرف جدك وجدتك ، وأعرف هذه البردة التى عليك وهى لفلان ، وقد أعارك إياها ، فنهت الرجل وارتعد ، حتى كاد يغشى عليه .

ذكاء المنصور

ثم جاء بعدهم من اقتدى بهم وهو عبد الملك بن مروان والحجاج ، ولم يسلك بعدها ذلك الطريق ، واقتفى آثار ذلك الفريق إلا المنصور ثانى خلفاء بنى العباس ولى الخلافة بعد أخيه السفاح ، وهى فى غاية الاضطراب فنصب العيون ، وأقام المتطلعين ، وبث فى البلاد والنواحى من يكشف له حقائق الأمور والرعايا . فاستقامت الأمور ، ودانت له الجهات ، ولقد ابتلى فى خلافته بأقوام نازعوه وأرادوا خلعه ، وتمردوا عليه ، وتكاثروا ، فلولا أن الله تعالى أعانه بتيقظه وتبصرة ما ثبت له فى الخلافة قدم ، ولا رفع مع قصد أولئك القاصدين علم ، لكنه بث العيون فعرف من انطوى على خلافه فعالجه باتلافه ، واطلع على عزائم المعاندين فقطع رؤوس عنادهم بأسيافه ، وكان بكمال يقظته يتلقى المحذور بدفعه دون رفعه ، ويعاجل المخوف بتفريق شمله قبل جمعه ، فذلت له الرقاب ولانت لخلافته الصعاب ، وحزر قواعدها وأحكمها بأوثق الأسباب ، فمن آثار يقظته وفطنته ، أنه دس على عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب من أوهمه أنه من شيعته وحمل إليه كتبا بأسماء رجال من خراسان من شيعته فألقى إليه بسره بعد تردد وكشف له أنه يستعد لينازع المنصور فى ملكه فاستقدمه المنصور وحبسه وجعل يتطلب ولديه محمد وإبراهيم ويستعلم أخبارهما .

وهبتك الجارية وثمنها

وكان عبد الله بن معمر التميمى من الأجواد ، وقيل إنه كان لرجل جارية يهواها ، فاحتاج إلى بيعها ، فابتاعها منه ابن معمر بمال جزيل ، فلما قبض ثمنها أنشدت تقول :

هنيئاً لك المـال الذى قبضتـه   ولم يبق فى كفى غير التحسر

أبوء بحزن من فراقك موجع   أناجى به صدرا طويل الفكـر

فأجابها بقوله :

ولولا قعود الدهر بى عنك لم يكن   يفرقنا شئ سوى الموت فاعذرى

عليـك سـلام لا زيـارة بيـنـنا   ولا وصل إلا أن يشاء ابن معمر

فقال ابن معمر : قد شئت وقد وهبتك الجارية وثمنها ، فخذها وانصرف.

فخلع ثوبه وخاتمه

ووفد أبو الشمقمق إلى مدينة سامور يريد محمد بن عبد السلام ، فلما دخلها توجه إلى منزله ، فوجده فى دار الخراج يُطالب ، فدخل عليه يتوجع ، فلما رآه محمد قال :

ولقد قدمت على رجال طالما   قدم الرجـال عليـهم فتـمولوا

أقنى الزمـان عليـهم فكأنمـا   كانوا بأرض أقفرت فتحولوا

فقال أبو الشمقمق

الجود أفلسهم وأذهب مالهم فاليوم إن راموا السماحة يبخلوا

فخلع محمد ثوبه وخاتمه ودفعهما إليه ، فكتب بذلك مستوفى الخراج إلى الخليفة ، فوقع إلى عامله بإسقاط الخراج من محمد بن عبد السلام فى تلك السنة ، واسقاط ما عليه من البقايا ، وأمر له بمائة ألف درهم معونة على مروءته .

بكى عليه حتى تقرحت أجفانه

وقال أبو العيناء : حصلت لى ضيقة شديدة ، فكتمتها عن أصدقائى ، فدخلت يوما على يحى ابن أكثم القاضى ، فقال : إن أمير المؤمنين جلس للمظالم ، وأخذ القصص ، فهل لك فى الحضور ؟ قلت : نعم ، فمضيت معه إلى دار أمير المؤمنين ، فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسنى ، ثم قال : يا أبا العيناء ، بالألفة والمحبة ما الذى جاء بك وهذه الساعة .

فأنشدته :

لقد رجوتك دون الناس كلهم وللرجاء حقوق كلها تجب

إن لم يكن لى أسباب أعيش بها ففى العلا لك فلاق هى السبب

فقال : يا سلامة انظرنى أى شئ فى بيت المال دون مال المسلمين ، فقال : بقية من مال ، قال : فادفع له منها مائة ألف درهم ، وابعث له بمثلها فى كل شهر ، فلما كان بعد أحد عشر شهراً مات المأمون ، فبكى عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه .

سخاء أحمد بن طولون

وكان أحمد بن طولون ملك مصر كثير الصدقة ، وكان راتبه منها في الشهر ألف دينار سوى ما يطرأ عليه من نذر وصلة ، وسوى ما يطبخ في دار الصدقة .

وكان الموكل بصدقته سليم الخادم ، فقال له سليم يوما : أيها الأمير إنى أطوف القبائل ، وأدق الأبواب لصدقاتك ، وإن اليد تمد إلى ، وفيها الحناء، وربما كان فيها خاتم الذهب والسوار الذهب ، أفأعطى أم أرد ؟ قال فأطرق طويلا ، ثم قال : كل يد امتدت إليك فلا تردها .

ريح كفك أطيب

وقال سلمة بن عباس :

وما شم انفى ريح كف شممتها   من الناس إلا ريح كفك أطيب

فأمر له بألف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر .

له ألف جفنة

وكان عبد العزيز بن عبد الله جوادا ، مضيافا ، فتغدى عنده أعرابى يوما ، فلما كان من الغد مر على بابه، فرأى الناس فى الدخول على هيئتهم الأمس ، فقال : أو كل يوم بطعم الأمير الناس ؟ قالوا : نعم فأنشد يقول :

أكل يوم كأنه عيد أضحى   عند عبد العزيز أو عيد فطر

وله جفنه مترعات [1]   كل قدر يمدها ألف قدر

(١) الجفنة القصعة التى يوضع فيها الطعام ومترعات : مليئة .

لا أدعك تقاسى الذل على أبوابهم

وتعشى الناس ليلة عند سعيد بن العاصى ، فلما خرجوا بقى فتى من الشام قاعدا ، فقال له سعيد : ألك حاجة ؟ وأطفا الشمعة كراهة أن يخجل الفتى، فذكر أن أباه مات ، وخلف دينًا وعيالا ، سأله أن يكتب له كتابا إلى أهل دمشق ليقوموا ببعض إصلاح حاله ، فدفع له عشرة آلاف دينار وقال له : لا أدعك تقاسى الذل على أبوابهم .

فارجع إلينا متظلما

ودخل رجل على على بن سليمان الوزير ، فقال له : سألتك بالله العظيم ونبيه الكريم إلا ما أجرتنى من خصمى ، فقال : ومن خصمك حتى أجيرك منه ؟ فقال : الفقر ، فاطرق الوزير ساعة ، وقال : قد أمرت لك بمائة ألف درهم ، فأخذها انصرف ، فبينما هو فى الطريق إذا أمر الوزير برده إليه ، فلما رجع قال له : سألتك بالله العظيم ونبيه الكريم متى أتاك خصمك معنفا ، فارجع إلينا متظلما .

تمنيت أن الشاة لم تبرأ

وقال الأعمش : كانت عندى شاة ، فمرضت ، وفقدت الصبيان لبنها ، فكان حثيمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشى يسألنى ، هل أسوفت علفها ؟ وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها ، وكان تحتى لبد أجلس عليه، فكان إذا خرج يقول : خذ ما تحت اللبد حتى وصل من غلة الشاة أكثر من ثلاثمائة دينار من بره حتى تمنيت أن الشاة لم تبرأ .

ما حملك على هذا الصياح

وحكى أبو قدامة القشيرى قال : كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحًا يقول : يا يزيد بن مزيد ، فطلبه فأتى به إليه ، فقال : ما حملك على هذا الصياح ، قال : فقدت دابتى ونفذت نفقتى وسمعت قول الشاعر :

إذا قيل من للجود والمجد والندى فنادى بصوت يا يزيد بن مزيـد

فأمر له بفرس أبلق كان معجبا به ، وبمائة دينار، وخِلعة سنبة فأخذها وانصرف .

أعطى على جهد

وروى عن الهيثم بن عدى أنه قال : تمارى ثلاثة نفر فى الأجواد ، فقال رجل : أسخى الناس فى عصرنا : قيس بن سعد بن عبادة ، فقال الآخر : بل أسخى الناس اليوم عرابة الأوسى ، فتنازعوا بفناء الكعبة ، فقال لهم رجل : لقد أفرطتم فى الكلام فليمض كل واحد منكم إلى صاحبه فيسأله حتى ننظر بما يعود ، فنحكم على العيان .

فقام صاحب ابن جعفر فوافاه ، وقد وضع رجله فى ركاب راحلته بريد ضيعة له، فقال الرجل : يا ابن عم رسول الله ﷺ ابن سبيل ومنقطع به ، قال : فأخرج رجله ، وقال : ضع رجلك واستو على الناقة ، وخذ ما فى الحقيبة ، وكان فيها مطارف خز وأربعة آلاف دينار .

ومضى صاحب قيس، فوجده قائما فقالت له جارية قيس : ما حاجتم؟ فقال : ابن سبيل ومنقطع به ، فقالت له الجارية : حاجتك أهون من إيقاظه،

هذا كيس فيه سبعمائة دينار ما فى دار قيس اليوم غيرها ، وامض إلى معاطن الإبل، فخذ راحلة من رواحله، وما يصلحها، وعبدا ، وامض لشأنك ، قيل : إن قيسا لما انتبه أخبرته الجارية بما صنعت ، فأعتقها ، ولو لم تعلم أن ذلك يرضيه ما جرأت أن تفعله .

ومضى صاحب عرابة، فجده قد خرج من منزله يريد الصلاة ، فقال: يا عرابة ابن سبيل ومنقطع به ، وكان معه عبدان ، فصفق بيده اليمنى على اليسرى ، وقال : أواه أواه ، والله ما أصبح ولا أسى الليلة عند عرابة شئ ، ولا تركت له الحقوق مالا ، ولكن خذ هذين العبدين ، فقال الرجل : والله ما كنت بالذى يسلبك عبديك ، فقال : إن أخذتهما ، وإلا فهما حران لوجه الله تعالى، فإن شئت، فاعتق، فأخذ الرجل العبدين ومضى، ثم اجتمعوا وذكروا قصة كل واحد فحكموا لعرابة لأنه أعطى على جهد .

أعطاه ثلاثمائة ألف

قصد شاعر خالد بن يزيد ، فأنشده شعراً :

سألت الندى والجود حران أنتما فقـــالا يقيـــنا إننـــا لعبيـــد

فقلـت ومن مولاكـما فتطـــاولا إلىّ وقـــالا خـالـــد ويزيـــد

فقال يا غلام أعطه مائة ألف درهم ، وقل له : إن زدتنا زدناك فزاد ثلاثة أبيات فزاده مائة ألف ، فزاده ثلاثة أبيات ، فزاده مائة ألف ، وقال له إن زدتنا زدناك ، فقال : حسب الأمير ما سمع ، وحسبى ما أخذت وانصرف .

أجـواد الجـاهليـة

وأما الذين انتهى إليهم الجود فى الجاهلية : فهم : حاتم الطائى ، وهرم بن سنان ، وخالد بن عبيد الله ، وكعب بن أمامه الأيادى ، وضرب المثل بحاتم وكعب ، وحاتم أشهرهما فأما كعب فجاد بنفسه وآثر رفيقه بالماء فى المفازة (الصحراء) ، ومات عطشا .

وأما خالد بن عبيد الله ، فإنه جاء إليه بعض الشعراء ورجله فى الركاب يريد الفرز ، فقال له : إنى قلت فيك بيتين من الشعر ، فقال : فى مثل هذا الحال ؟ قال : نعم ، فقال هاتهما ، فأنشده يقول :

يـا واحـد العـــرب الـذى ما فـى الأنـــام لــه نظـــير

لو كـــان مثلـــك آخـــر ما كـــان فى الدنيـــا فقـــير

فقال يا غلام ، أعطه عشرين ألف دينار ، فأخذها وانصرف .

فبك تعلمت مكارم الأخلاق

وأما حاتم فأخباره كثيرة، وأثاره فى الجود شهيرة ، ويكنى أبا سفانة وأبا عدى وكان يسير فى قومه بالمرباع والمرباع ربع الغنيمة ، وكان ولده عدى يعادى النبى ﷺ، فبعث النبى ﷺ عليا إلى طىء ، فهرب عدى بأهله وولده ولحق بالشام ، وخلف أخته سفانه ، فأسرتها خيل رسول الله ﷺ ، فلما أتى بها إلى النبى ﷺ قالت : يا محمد هلك الوالد ، وغاب الرافد ، فإن رأيت أن تخلى عنى ، ولا تشمت بى أحياء العرب ، فإن أبى كان سيد قومه يفك العانى (الأسير) ، ويقتل الجانى ، ويحفظ الجار ، ويحيى الزمار،

ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ويحمل الكَل (الضعيف) ، ويعين على نوائب الدهر ، وما أتاه أحد فى حاجة فرده خائبا ، أنا بنت حاتم الطائى ، فقال لها النبى ﷺ : "يا جارية هذه صفات المؤمنين حقاً ، لو كان أبوك مسلما لترحمنا عليه ، خلوا عنها ، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق وقال فيها : "ارحموا عزيزاً ذل ، وغنيا افتقر، وعالما ضاع بين جهال" ومنّ عليها وأطلقها فاستأذنته فى الدعاء له فأذن لها ، وقال لأصحابه اسمعوا واعوا ، فقالت : أصاب الله ببرك مواقعه ، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا وجعلك سببا فى ردها عليه.

فلما أطلقها ﷺ رجعت إلى قومها، وأتت أخاها عديا وهو بدومة الجندل، فقالت له يا أخى : أئت هذا الرجل قبل أن تعلقك جبائله، فإنى رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة ورأيت خصالا تعجبنى، رأيته يحب الفقير، ويفك الأسير ويرحم الصغير ويعرف قدر الكبير ، وما رأيت أجود ولا أكرم منه ﷺ ، وأنى أرى أن تلحق به ، فإن يك نبياً فللسابق فضله ، وإن يك ملكا فلن يذل فى عز اليمن.

فقدم عدى إلى النبى ﷺ فألقى وسادة محشوة ليفا ، وجلس النبى ﷺ على الأرض فأسلم عدى به حاتم ، وأسلمت أخته سفانة ، وكانت من أجود نساء العرب ، وكان أبوها يعطيها الضريبة من إبله فتهبها وتعطيعها الناس ، فقال لها أبوها، يا بنية إن الكريمين إذا اجتمعا فى المال اتلفاه ، فإما أن أعطى وتمسكى ، وإن أمسك وتعطى ، فإنه لا يبقى على هذا شئ، فقالت له : منك تعلمت مكارم الأخلاق .

الذى خلقهم تكفل بأرزاقهم

وقال ابن الأعرابى : كان حاتم الطائى من شعراء الجاهلية ، وكان جواد يشبه جوده شعره ويصدق قوله فعله ، وكان حيثما نزل عرف منزله ، وكان مظفرا إذا قاتل غلب ، وإذا سئل وهب ، وإذا سابق سبق وإذا أسر أطلق ، وكان إذا أهل رجب الذى كانت تعظمه مضر فى الجاهلية نحر كل يوم عشرا من الإبل وأطعم الناس ، واجتمعوا إليه ، وكان قد تزوج ماوية بنت عفير ، وكانت تلمه على إئتلاف المال ، فلا يلتفت لقولها ، وكان لها ابن عم يقال له مالك ، فقال لها يوما لتصفين بحاتم ، فوالله لئن وجد مالا ليتلفنه ، وإن لم يجد ليتكلفن ولئن مات ليتركن أولادا عالة على قومك ، فقالت ماوية : صدقت إنه كذلك .

وكان النساء يطلقن الرجال فى الجاهلية وكان طلاقهن أن يكن فى بيوت من شعر فإن كان باب البيت من قبل المشرق حولته إلى المغرب ، وإن كان من قبل المغرب حولنه إلى المشرق ، وإن كان من قبل اليمن حولنه إلى الشام ، إن كان من قبل الشام حولنه إلى اليمن فإذا رأى الرجل ذلك علم أنها طلقته ، فلم يأتها ، ثم قال لها ابن عمها : طلقى حاتم وأنا أتزوجك، أنا خير لك منه ، وأكثر مالا ، وأنا أمسك عليك ، وعلى ولدك فلم يزل بها حتى طلقته ، فأتاها حاتم وقد حولت باب الخباء ، فقال حاتم لولده ، يا عدى ما ترى ما فعلت أمك ؟ فقال : قد رأيت ذلك ، قال : فأخذ ابنه وهبط بطن واد، فنزل فيه ، فجاء قوم ، فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون، وكان عدتهم خمسين فارسا ، فضاقت بهم ماوية ذرعا وقالت لجاريتها : إذهبى إلى ابن عمى مالك ، وقولى له : إن أضيافا لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون

رجلا ، فأرسل إلينا بشئ نقريهم [1] ولبن نسقيهم ، وقالت لها : انظرى إلى جبينه وفمه، فإن شافهك بالمعروف فاقبلى منه ، وإن ضرب بلحيته على زروه (صدره) ولطم رأسه ، فأقبلى ودعيه .

فلما أتته وجدته متوسداً رطباً (وعاء) من لبن ، فأيقظته وأبلغته الرسالة وقالت له : إنما هى الليلة حتى يعلم الناس مكان حاتم ، فلطم رأسه بيده وضرب بلحيته ، وقال : أقرئيها السلام وقولى لها : هذا الذى أمرتك أن تطلقى حاتما لأجله وما عندى لبن يكفى أضياف حاتم .

فرجعت الجارية ، فأخبرتها بما رأت وبما قال لها ، فقالت لها : إذهبى إلى حاتم وقولى له : إن أضيافك قد نزلوا الليلة ولم يعلموا مكانك فأرسل إلينا بناقة نقريهم ولبن نسقيهم ، فأتت الجارية حاتماً ، فصاحت به ، فقالت : لبيك قريبا دعوت فأخبرته بما جاءت بسببه ، فقال لها : حبا وكرامة ، ثم قام إلى الإبل فأطلق اثنتين من عقالهما وصاح بهما حتى أتيا الخباء ، ثم ضرب عراقيبها ، فطفقت ماوية تصيح : هذا الذى طلقتك بسببه ، نترك أولادنا وليس لهم شئ ، فقال لها : ويحك يا ماوية الذى خلقهم وخلق الخلق متكفل بأرزاقهم .

وكان إذا اشتد البرد وغلب الشتاء أمر غلمانه بنار فيوقدونها فى بقاع الأرض لينظر إليها من ضل عن الطريق ليلا ، فيقصدها ، ولم يكن حاتم يمسك شيئا عدا فرسه وسلاحه فإنه كان لا يجود بهما ، ثم جاء بفرسه فى سنة مجدية .

---

(١) تطعمهم .

عجائب حاتم

حكى أن ملكان ابن أخى ماوية قال : قلت لها يوما : يا عمة حديثنى ببعض عجائب حاتم ، وبعض مكارم أخلاقه ، فقالت : يا ابن أخى أعجب ما رأيت منه أصابت الناس سنة إذهبت الخف[1] والظلف[2] ، وقد أخذنى وإياها الجوع وأسهرنا ، فأخذت سفانة ، وأخذ عديا ، وجعلنا نعللهما حتى ناما ، فأقبل علىّ يحدثنى ويعللنى بالحديث حتى أنام ، فرفقت به لما به من الجوع ، فأسكت عن كلامه لينام ، فقال له : أنمت ؟ فلم أجبه ، فسكت ونظر فى فناء الخباء ، فإذا شئ قد أقبل ، فرفع رأسه ، فإذا امرأة فقال : ما هذا ؟ فقالت : يا أبا عدى أتيتك من عند صبية يتعاوون كالكلاب أو كالذئاب جوعا، فقال لها : احضرى صبيانك ، فوالله لأشبعنهم ، فقامت سريعة لأولادها فرفعت رأسى.

وقلت له : يا حاتم ، بماذا تشبع أطفالها ؟ فوالله ما نام صبيانك من الجوع إلا بالتعليل ، فقال : والله لأشبعنك وأشبعن صبيانك وصبيانها ، فلما جاءت المرأة نهض قائما ، وأخذ المدية[3] وعمد إلى فرسه ، فذبحه ، ثم أجج نارا ودفع إليها شفرة ، وقال : قطعى واشوى وكلى وأطعمى صبيانك ، فأكلت المرأة واتبعت صبيانها ، فأيقظت أولادى وأكلت وأطعمتهم ، فقال : والله إن هذا لهو اللؤم تاكلون وأهل الحى حالهم مثل حالكم ، ثم أتى الحى بيتا بيت يقول لهم انهضوا بالنار فأجتمعوا حول الفرس ، وتقنع حاتم بكسائه وجلس ناحية ، فوالله ما أصبحوا وعلى وجه الأرض منها قليل ولا كثير إلا العظم والحافر ، ولا والله ماذاقها حاتم ، وإنه لأشدهم جوعا .

(١) خلوة .　　(٢) الخيول والغنم.　　(٣) السكين .

وأغار قوم على طئ ، فركب حاتم فرسه وأخذ رمحه ونادى فى جيشه وأهل عشيرته، ولقى القوم ، فهزمهم وتبعهم ، فقال له كبيرهم : يا حاتم هب لى رمحك ، فرمى به إليه ، فقيل لحاتم : عرضت نفسم للهلاك ، لو عطف عليك لقتلك ، فقال : قد علمت ذلك ، ولكن ما جواب من يقول هب لى ؟ ولما مات عظم على طئ موته ، فادعى أخوه أنه يخلفه ، فقالت له أمه ، هيهات شتان والله ما بين خلقتيكما ، وضعته ، فبقى والله سبعة أيام لا يرضع حتى ألقمت إحدى ثدىً طفلا من الجيران ، وكنت أنت ترضع ثديا ويدك على الآخر ، فأنى لك ذلك .

يقول الشاعر :

يعيش الندى ما عاش حاتم طئ وإن مات قامت للسخـاء مآتـم

وكانت العرب تسمى الكلب داعى الضمير ، ومتمم النعم ، ومشيد الذكر لما يجلب من الأضياف بنباحه ، والضمير : الغريب ، وكانوا إذا اشتد البرد وهبت الرياح ، ولم تشب النيران فرقوا الكلاب حوالى الحى وربطوها إلى العمد لتستوحش فتنبح ، فتهتدى الضلال وتأتى الأضياف على نباحها .

ففى مثل هذه المناقب فليتنافس المتنافسون ولمثلها فليعمل العاملون ، فإن فيها عز الدنيا وشرف الآخرة ، وحسن الصيت وخلود الذكر ، فإنه لا يبقى على ممر الدهر إلا الذكر حسنا كان أو قبيحا .

وانتهز العمر ونفوذ الأمر وقدم لنفسك كما قدموا ، تذكر بالصالحات كما ذكروا، وادخر لنفسك فى القيامة ، واعلم أن المأكول للجسد ، والموهوب للمعاد والمتروك للعدو فاختر أيها الثلاث شئت .

الأبطال والشجعان

المهلب بن أبى صفرة

كان من الشجعان ، ومن الأبطال المعدودة ، وأولاده كلهم أنجاد أبطال إلا أن المغيرة من بينهم كان أشد تمكنا ، وكان المهلب يقول : ما شهد معى المغيرة حربا إلا رأيت البشرى فى وجهه ، وحمل عليه بعض الشجعان ، وفى يديه شجره ، فلما رآها نكس رأسه على قربوس السرج ، وحمل من تحتها فبراها بسيفه .

وكان المهلب يقول : أشجع الناس ثلاثة : ابن الكلبية ، وأحمر قريش ، وراكب البغلة ، فابن الكلبية مصعب بن الزبير ، وأحمر قريش عمر بن عبيد الله بن مهمر ما لقى خيلا قط إلا فرقها وراكب البغلة عباد بن الحصين ما كان قط فى كربة إلا فرجها .

وكان للمهلب فى الحروب مكايد مشهورة ووقائعه أبادت الخوارج بعد أن كانوا قد استولوا على المسلمين ، وكان سيدا كريما ، مات حتف أنفه ، وكذلك ابنه المغيرة .

وكان فى الخوارج فوارس مشهورة ، لا تثبت لهم الرجال ، فمنهم أبو بلال مرداس خرج فى أربعين فهزم ألفين .

وشبيب الخارجى الذى غرق فى الفرات ، فنذرت امرأته غزالة أن تصلى فى جامع الكوفة تقرأ فى الأولى البقرة وفى الثانية آل عمران ، فعبر بها الفرات وأدخلها الجامع ، ووقف على بابه يحميها حتى وفت بنذرها ، والحجاج فى الكوفة فى خمسين ألفا .

ومنهم قطرى بن الفجادة كان رأس الخوارج ، وما جلده بأمير المؤمنين ، وعظموه ، وبجلوه ، واشعاره فى الشجاعة تدل على مكانة منها ، قتل فى بعض وقائع الخوارج .

والطبقة الثالثة :

معن بن زائدة الشيبانى :

قتله الخوارج بسجستان فى أيام المهدى ، الوليد بن طريف الشيبانى قتله يزيد بن مزيد ، عمر بن حنيف كان من الفرسان المعدودة ، نقل عنه أنه كان يتصيد ، فتتبع حمار وحش ومازال يركض إلى أن حازاه ، فجمع رجليه ووثب من على فرسه وصار على ظهر حمار الوحش ، وصار يحز عنقه بسيف أو سكين فى يده حتى قتله .

أبو دلف القاسم بن عيسى العجلى :

فارس بطل شاعر نديم جامع لما تفرق فى غيره ، طعن فارسين رديفين ، فأنفذ الرمح من ظهرهما ، وحمل برمحه أربعة نفر .

وسأله يوما رجل شيئا فقال له : أتسأل وجدك القائل :

ومن يفتقر منا يعش بحسابه[1] ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

وأنا لنلهو بالسيف كما لهت فتاة بعقد أو سحاب قرنفل

فخرج الرجل ، فجرد سيفه ، فلم يصادف فى طريقه إلا وكيلا لأبى

---

(١) سيفه .

دلف ومعه مال جزيل، فاستلبه منه وقتله ، فبلغ الخبر أبا دلف فقال : دعوه، فإنى علمته على نفسى .

بكر بن النطاح : بطل شجاع فارس فاتك له أشعار مشهور.

عروة بن الزبير :

قدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله ، فطلب منه سيف الزبير ، وقال له : رده على ، فإنه السيف الذى أعطاه رسول الله ﷺ له يوم حنين ، فقال له عبد الملك ، أو تعرفه ؟ قال : نعم ، قال : بماذا ؟ قال : أعرفه بما لا تعرف به سيف أبيك ، أعرفه بقول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم   بهن فلول [1] من قراع الكتائب

أخبار الشجعان

حكى الفضل بن يزيد قال : نزل علينا بنو تغلب فى بعض السنين ، وكنت مشغوفا بأخبار العرب أن أسمعها وأجمعها ، فبينما أنا أدور فى بعض أحيائهم إذا بامرأة واقفه فى فناء خبائها ، وهى آخذة بيد غلام فما رأيت مثله فى حسنه وجماله له ذوابتان كالسبج (الخرز) المنظوم ، وهى تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب تحن إليه الأسماع وترتاح له القلوب ، وأكثر ما أسمع منها : أى بنى ، وهو يبتسم فى وجهها قد غلب عليه الحياء والخجل ، وكأنه جارية بكر لا يرد جوابا .

---

(١) فلول : (ثلمات) والثلمة الكسر .

فاستحسنت ما رأيت ، واستحليت ما سمعت ، فدنوت منه وسلمت ، فرد السلام ، فوقفت أنظر إليها ، فقالت : يا حضرى ما حاجتك ؟ فقلت : الاستكثار مما أسمع والاستمتاع بما أرى من هذا الغلام .

فقالت : يا حضرى : إن شئت سقت إليك من خبره ما هو أحسن من منظره ، فقلت : قد شئت يرحمك الله ، فقالت : حملته والرزق عسر ، والعيش نكد حملا خفيفا حتى مضت له تسعة أشهر ، وشاء الله عز وجل أن أضعه ، فوضعته خلقا سويا ، فوربك ما هو إلا أن صار ثالث أبويه حتى أفضل الله عز وجل ، وأعطى وأتى من الرزق بما كفى وأغنى ، ثم أرضعته حولين كاملين ، فلما استتم الرضاع نقلته من خرق المهد إلى فراش أبيه ، فربى كأنه شبل أسد فيه برد الشتاء ، وحر الهجير حتى إذا مضت له خمس سنين أسلمته إلى المؤدب ، فحفظه القرآن ، فتلاه ، وعلمه الشعر فرواه ، ورغب فى مفاخر قومه وآبائه وأجداده ، فلما أن بلغ الحلم واشتد عظمه وكمل خلقه حملته على عناق الخيل فتفرس وغرس ولبس السلاح ومشى بين بويتات الحى الخيلاء ، فأخذ فى قرى (طعام) الضيف وإطعام الطعام ، وأنا عليه وجلة أشفق عليه من العيون أن تصيبه ، فاتفق أن نزلنا بمنهل (مشرب) من المناهل بين أحياء العرب ، فخرج فتيان الحى فى طلب ثأر لهم ، وشاء الله تعالى أن اصابته وعكة[1] شغلته عن الخروج ، حتى إذا أمعن القوم ، ولم يبق فى الحى غيره ، ونحن آمنون وادعون ، ما هو إلا أن أدبر الليل وأسفر الصباح حتى طلعت علينا غرر الجياد وطلائع العدو ، فما هو إلا هنيهة حتى أحرزوا الأموال دون أهلها . وهو يسألنى

---

(١) مرض .

عن الصوت وأنا أستر عنه الخبر اشفاقا عليه وضنا به[1] ، حتى إذا علت الأصوات وبرزت المخدرات (النساء) رمى وثاره وثار كما يثور الأسد ، وأمر باسراج فرسه ، ولبس لأمة[2] حربه ، وأخذ رمحه بيده ولحق حماة القوم ، فطعن أدناهم منه فرمى به ، ولحق أبعدهم منه فقتله ، فانصرفت وجوه الفرسان ، فرأوه صبيا صغير لا مدد وراءه فحملوا عليه ، فأقبل يؤم البيوت ونحن ندعوا الله عز وجل له بالسلامة حتى إذا أمدهم وراءه وامتدوا فى أثره عطف عليهم ، ففرق شملهم وشتت جمعهم ، وقلل كثرتهم وفرقهم كل ممزق ، ومرق كما يمرق السهم ، وناداهم : خلوا عن المال ، فوالله لا رجعت إلا به ، أو لأهلكن دونه ، فانصرفت إليه الأقران ، وتمايلت نحوه الفرسان ، وتميزت له الفتيان ، وحملوا عليه وقدر رفعوا إليه الأسنة ، وعطفوا عليه بالأعنة ، فوثب عليهم وهو يهدر كما يهدر الفحل ، ثم ساق المال ، وأقبل به ، فكبر القوم عند رؤيته ، وفرح الناس بسلامته ، فوالله ما رأينا قط يوما ما كان أسمح صباحا وأحسن رواحا من ذلك اليوم .

---

(١) بخلابه : أى خوفا من أن يصيبه مكروه .

(٢) عدة الحرب .

قصص أبطال الإسلام

فضل الجهاد فى سبيل الله

أثنى الله تعالى على الصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، ووصف المجاهدين فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الصف] ، وندب إلى جهاد الأعداء ووعد عليه أفضل الجزاء ،

قال رسول الله ﷺ : "الحرب خدعة" ، وقال : ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دم فى سبيله أو قطرة دمع فى جوف ليل من خشيته.

وسمع رجل عبد الله بن قيس (رضى الله عنه) يقول : قال رسول الله ﷺ : "إن الجنة تحت ظلال السيوف ، فقال : يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله ﷺ يقوله : قال : نعم ، فرجع إلى أصحابه ، فقال : أقرأ عليكم السلام ، ثم كسر جفن سيفه ، فألقاه ، ثم مشى بسيفه إلى العدو ، فضرب به حتى قتل .

لا تغسل الشهداء

وكتب أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) إلى خالد بن الوليد : أعلم أن عليك عيونا من الله ترعاك وتراك ، فإذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك السلامة ، ولا تغسل الشهداء من دمائهم ، فإن دم الشهيد يكون له نورا يوم القيامة .

وعن أنس (رضى الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : حين انتهينا

إلى خيبر : الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ،

وعنه (رضى الله عنه) يرفعه : "لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيسا وما فيها وعن ابن مسعود (رضى الله عنه) رفعه : إن أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل .

قصة أنس بن النضر

وكان أنس بن النضر عم أنس بن مالك (رضى الله عنهما) يقول : أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غيبت عنه يعنى بدرا - فلما كان يوم أحد قال : "واها لريح الجنة دون أحد ، فقاتل حتى تقتل ، فوجد فى بدنه بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية ، فقالت أخته الربيع بنت النضر : فما عرفت أخى إلا ببنانه[١] .

وعن فضالة بنت عبيد رفعه : "كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ، ويؤمن من فتنة القبر.

وعن سهل بن حنيف رفعه : "من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه.

(١) البنان : أطراف الأصابع .

ثمرة الشجاعة

أعلم أن الشجاعة عماد الفضائل ، ومن فقدها لم تكمل له فضيلة ، ويعبر عنها بالصبر وقوة النفس .

قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ... (٦٠) ﴾ [الأنفال]

وعزا النبى ﷺ القوة حين مر على أناس يرمون ، فقال : إلا إن القوة الرمى ، إلا أن القوة الرمى ، إلا إن القوة الرمى .

أفضل العدة أن تقدم بين يدى القاء عملا صالحا من صدقة أو صيام ورد المظالم وصلة الرحم ودعاء مخلص ، وأمر بمعروف ، ونهى عن منكر ، وأمثال ذلك .

والشأن كل الشأن فى استجادة القواد ، وانتخاب الأمراء ، وأصحاب الأولوية ، فقد قالت الحكماء : أسد يقود ألف ثعلب خير من ثعلب يقود ألف أسد ، فلا ينبغى أن يقدم الجيش إلا الرجل ذو البسالة والنخوة ، والشجاعة والجرأة ، ثابت الجأش ، صارم القلب ، صادق الباس ، ممن قد توسط الحروب ، ومارس الرجال ومارسوه ، ونازل الأقران ، وقارع الأبطال عارفا بمواضع الفرص خبيرا بمواضع القلب والميمنة ، والميسرة من الحروب ، فإنه إذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كانوا جميعا كأنهم مثله .

الحرب خدعة

واعلم أن الحرب خدعة عند جميع العقلاء ومن الحيل فى الحرب أن

يبث جواسيسه فى عسكر عدوه ليستعلم أخبارهم ، ويستميل قلوب رؤسائهم، وذوى الشجاعة منهم ، فيدس إليهم، ويعدهم وعدا جميلا، ويقوى أطماعهم فى نيل ماعنده وإن رأى وجها عاجلهم بالهدايا .

واعلم أن الحيلة لا ترد القضاء والقدر، وأن الدول إذا زالت صارت حيلها وبالا عليها، وإذا أذن الله تعالى فى حلول البلاء-كانت الآفة فى الحيلة.

وقال الحكماء : إذا نزل القضاء كان العطب فى الحيلة ، فمن الحزم المألوف عند سواس الحروب أن تكون حماة الرجال ، وكماة الأبطال فى القلب، فإنه إذا انكسر الجناحان كانت العيون ناظرة إلى القلب ، فإذا كانت رايته تخفق وطبوله تضرب كان حصنا للجناحين يأوى إليه كل منهزم، وإذا انكسر القلب تمزق الجناحان ، وقل عسكر انكسر قلبه فأفلح ، اللهم إلا أن تكون مكيدة من القائد فيخلى القلب قصداً ، حتى إذا توسطه العدو ، واشتغل بنهبه انطلق عليه الجناحان .

ويقال : حبب إلى عدوك الفرار بأن لا تتبعهم إذا انهزموا .

وينبغى لقائد الجيش أن يخفى العلامة التى هو مشهور بها ، فإن العدو قد يستعلم حيلته وألوان خيله ورايته ، ولا يلزم خيمته ليلا ولا نهارا ، وليبدل زيه ويغير خيمته كى لا يلتمس العدو غرة منه ، وإذا أسكن الحرب ، فلا يمشى فى النفر اليسير من قومه خارج المعسكر ، فإن عيون عدوه متجسسة عليه ، وبهذا الوجه كسر المسلمون جيوش افريقية عند فتحها ، وذلك أن الحرب سكنت وسط النهار ، فجعل مقدم العدو يمشى خارج عسكره ليتميز عساكر المسلمين ، فجاء الخبر إلى عبد الله بن أبى السرح

وهو نائم فى قبتة ، فخرج فيمن وثق معهم من رجاله وأباد جمعه ، وحمل على العدو فقتل الملك ، وكان الفتح .

جهاد ألب أرسلان

وبمثل هذا قهر ألب أرسلان ملك الترك ، وقمعه وقتل رجاله وأباد جمعه، وكانت الروم قد جمعت جيوشا يقل أن يجمع لغيرهم من بعدهم مثلها ، وكان يبلغ عددهم ستمائة ألف، كتائب متواصلة ، وعساكر مترادفة، وكراديس (جماعات من الخيالة) ، يتلو بعضها بعضا ، لا يدركهم الطرف ولا يحصيهم العد ، وقد استعدوا من الكراع والسلاح والمجانيق ، والآلات المعدة للحروب ، وفتح الحصون بمالا يحصى ، وكانوا قد قسمو بلاد المسلمين الشام والعراق ، ومصر ، وخراسان ، وديار بكر ، ولم يشكوا أن الدولة قد دانت لهم ، وأن نجوم السعود قد خدمتهم ، ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت أخبارهم إلى بلاد المسلمين ، واضطربت لها ممالك أهل الإسلام ، فاحتشد للقائهم الملك ألب أرسلان ، وهو الذى يسمى الملك العادل ، وجمع جموعه بمدينة أصبهان واستعد بما قدر عليه ، ثم خرج يؤمهم ، فلم يزل العسكران يتدانيان (يقتربان) إلى أن عادت طلائع المسلمين إلى المسلمين ، وقالوا لألب أرسلان : غدا يتراءى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة ، والروم فى عدد لا يحصيهم إلا الله الذى خلقهم ، وما المسلمون فيهم إلا أكلة جائع .

فبقى المسلمون وجلين[1] لما دهمهم ، فلما أصبحوا صباح يوم

جائفين : يسامحوا .

الجمعة نظر بعضهم إلى بعض فهال المسلمون ما رأوا من كثرة العدو ، فأمر ألب أرسلان أن يعد المسلمون ، فبلغوا اثنى عشر ألفا فكانو كالشامة البيضاء فى الثور الأسود ، فجمع ذوى الرأى من أهل الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين، والنظر فى العواقب ، واستشارهم فى استخلاص أصوب الرأى، فتشاوروا برهة ، ثم اجتمع رأيهم على اللقاء ، فتوادع القوم وتحاللوا وناصحوا الإسلام وأهله ، وتأهبوا أهبة اللقاء ، وقالوا لألب أرسلان : بسم الله نحمل عليهم ، فقال ألب أرسلان : يا معشر أهل الإسلام ، أمهلوا فإن هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ، ويدعون لنا فى شرق البلاد وغربها ، فإذا زالت الشمس ، وعلمنا أن المسلمين قد صلوا ودعوا الله أن ينصر دينه حملنا عليهم إذ ذاك .

وكان ألب أرسلان قد عرف خيمة ملك الروم وعلامته وزيه وزينته وفرسه ، ثم قال لرجاله : لا يتخلف أحد منكم أن يفعل كفعلى ، ويتبع أثرى، ويضرب بسيفه ، ويرمى سهمه حتى أضرب بسيفى ، وأرمى بسهمى ، ثم حمل برجاله حملة رجل واحد إلى خيمة ملك الروم ، فقتلوا من كان دونها ، ووصلوا إلى الملك ، فقتلوا من كان دونه ، وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك ، قتل الملك ، فسمعت الروم أن ملكهم قد قتل فتبددوا ، وتمزقوا كل ممزق ، وعمل السيف فيهم أياما ، وأخذ المسلمون أموالهم ، وغنائمهم ، وأتوا بالملك أسيرا بين يدى ألب أرسلان والحبل فى عنقه ، فقال له ألب أرسلان : ماذا كنت تصنع بى لو أسرتنى ؟ قال : وهل تشك أننى كنت أقتلك ؟

فقال له ألب أرسلان: أنت أقل فى عينى من أن أقتلك اذهبوا به

فبيعوه لمن يزيد فيه ، فكان يقاد والحبل فى عنقه، وينادى عليه من يشترى ملك الروم، ومازالوا كذلك يطوفون به على الخيام، ومنازل المسلمين، وينادون عليه بالدراهم والفلوس ، فلم يدفع فيه أحد شيئاً ، حتى باعوه من إنسان بكلب، فأخذه الذى ينادى عليه، وأخذ الكلب، وأتى بهما إلى ألب أرسلان ، وقال: قد طفت جميع العسكر، وناديت عليهم، فلم يبذل أحد فيه شيئا سوى رجل واحد دفع فيه هذا الكلب ، فقال : قد أنصفك إن الكلب خير منه.

ثم أمر ألب أرسلان بعد ذلك باطلاقه وذهب به إلى القسطنطينية ، فعزلته الروم وكحلوه بالنار (أى أحرقوا عينه) .

مدح الشجاعة
والشجعان وذم الجبن

حمزة بن عبد المطلب :

من الشجعان الأبطال الذين أدركوا الجاهلية والإسلام : حمزة بن عبد المطلب (رضى الله عنه) عم رسول الله ﷺ ، أسد الله وأسد رسوله ، قتل في غزاة أحد ، رماه وحشى مولى جبير بن مطعم بحربة فقتله .

وكان حمزة فارس قريش غير مُدافع ، وبطلها غير ممانع ، وعظم قتله على النبى ﷺ ونذر أن يقتل به سبعين رجلا من قريش ، وكبر عليه فى الصلاة سبعين تكبيرة .

أمير المؤمنين على بن أبى طالب (رضى الله عنه) :

على بن أبى طالب آية من آيات الله ، ومعجزة من معجزات رسول

الله ﷺ ومؤيد بالتأييد الإلهى ، كاشف الكروب ، ومثبت قواعد الإسلام ومرسيها ، وهو المتقدم على ذوى الشجاعة كلهم بلا مرية ولا خلاف .

روى عنه (رضى الله عنه) أنه قال: والذى نفس ابن أبى طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون على من موتة على فراش.

وقال بعضهم العرب لقينا كتيبة فيها على بن أبى طالب (رضى الله عنه) إلا أوصى بعضنا على بعض .

وقال (رضى الله عنه) لمعاوية : قد دعوت الناس إلى الحرب ، فدع الناس جانبا وأخرج إلى ليعلم أينا المران على قلبه ، والمغطى على بصره ، وأنا أبو الحسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخا [1] يوم بدر ، وذلك السيف معى ، وبذلك القلب ألقى عدوى ، وقيل له ﷺ : إذا حالت الخيل ، فأين نطلبك ؟ قال : حيث تركتمونى . وقيل له : كيف تقتل الأبطال ؟ قال : لأنى كنت ألقى الرجل ، فأقدر أنى أقتله ، ويقدر هو أنى أقتله ، فأكون أنا ونفسه عونا عليه .

حقك على بن أبى طالب (رضى الله عنه) :

وقال مصعب بن الزبير كان على (رضى الله عنه) حذرا فى الحروب شديد الروغان لا يكاد أحد يتمكن منه ، وكانت درعه صدرا لا ظهر لها ، فقيل له : أما تخاف أن تؤتى من ظهرك ، فقال : إذا أمكنت عدوى من ظهرى ، فلا أبقى الله عليه إن أبقى على .

---

(١) أى قتله بقطعه من رأسه إلى وسطه .

قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنه الله تعالى عليه ، غدره وهو فى صلاة الصبح ، وسبب ذلك أن عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله تزوج بقُطام بنت علقمة ، وكانت من الخوارج ، فقالت له : لا أقنع إلا بصداق أسمية وهو ثلاثة آلاف درهم ، وعبد وأمة ، وأن تقتل على بن أبى طالب ، فقال لها : لك ما سألت إلا على بن أبى طالب ، وكيف لى به ؟ قالت : تغتاله، فإن سلمت أرحت الناس من شره ، وأقمت مع أهلك ، وإن أصبت دخلت الجنة .

فطعنه وهو داخل المسجد فى الغلس (الظلمة) ، وذلك فى تاسع عشر رمضان المعظم سنة أربعين ، وكفن (رضى الله عنه) فى ثلاثة أثواب ، ودفن فى الرحبة مما يلى باب كندة من أبواب المسجد ، ولما ضربه ابن ملجم لعنة الله عليه ثار الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر (رضى الله عنهم) ، فاحتضنوه ، وقام المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فأخذه ، فأومأ على (رضى الله عنه) إلى المغيرة أن صل بالناس ، فصلى بهم الفجر وأقبلت همدان ، فدخلوا على على ، فقالوا ، يا أمير المؤمنين : لا تقوم لهم قائمة إن شاء الله تعالى ، فقال : لا تفعلوا إنما النفس بالنفس .

ثم إن الحسن (رضى الله عنه) صلى الفجر وصعد المنبر ، فأراد الكلام ، فخنقته العبرة ، ثم نطق ، فقال : الحمد لله على ما أحببنا وكرهنا، أشهد لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمد عبده ورسوله ﷺ وأنى احتسب عند الله عز وجل مصابى بأفضل الآباء رسول الله ﷺ القائل: "من أصيب بمصيبة فليتسل بمصيبته فىّ ، فإنها أعظم المصائب ، والله الذى لا إله إلا هو الذى أنزل على عبده الفرقان ، لقد قبض هذه الليلة

رجل ما سبقه الأولون بعد رسول الله ﷺ ولا يدركه الآخرون ، فعند الله نحتسب ما دخل علينا وعلى جميع أمة محمد ﷺ ، فوالله لا أقول اليوم إلا حقا ، ولقد دخلت مصيبة اليوم على جميع العباد والبلاد ، والشجر والدواب ، ولقد قبض فى الليلة التى رفع فيها عيسى بن مريم عليهما السلام إلى السماء وقبض فيها موسى بن عمران ، ويوشع بن نون (عليهما السلام)، وأنزل فيها القرآن على محمد ﷺ .

ولقد كان رسول الله ﷺ يبعثه فى السرية ، ويسير جبريل عن يمينه وميكائيل من يساره ، فما يرجع حتى يفتح الله عز وجل على يديه ، ما ترك صفراء (ذهب) ولا بيضاء (فضة) إلا سبعمائة درهم أراد أن يبتاع بها خادما لأهله ، إلا أن أمور الله تعالى تجرى على أحوالها ، فما أحسنها من الله وأسوأها من أنفسكم ، ألا إن قريشا أعطت أزمتها شياطينها ، فقادتها بأعنتها إلى النار ، فمنهم من قاتل رسول الله ﷺ حتى أظهره الله تعالى عليه ، ومنهم من أسر الضغينة حتى وجد على النفاق أعوانا ، رفع الكتاب ، جف القلم ، وأمور تقضى فى كتاب قد خلا ، ثم أطرق الحسن ، فبكى الناس بكاء شديدا ، ثم نزل ، فجرد سيفه ، ودعا بابن ملجم ، فأقبل يخطر واضعا شعره على أذنيه حتى قام بين يديه ، فقال : يا حسن إنى ما عاهدت الله تعالى على عهد قط إلا وفيت به ، عاهدت الله أن أقتل أباك وقد قتلته ، فإن تخلنى أقتل معاوية فإن قتلته أضع يدى على يدك ، وإن أُقتل فهو الذى تريد .

فقال الحسن (رضى الله عنه) أما والله لا سبيل إلى بقائك ، ثم قام إليه فضربه بالسيف فاتقاه ابن ملجم بيده ، ثم أسرع بالسيف فيه فقتله .

خالد بن الوليد :

ومن الأبطال خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى (رضى الله عنه) : سيف الله وسيف رسوله ﷺ بطل مذكور وفارس مشهور فى الجاهلية والإسلام ، قتل مالك بن نويرة ، وقتل مسيلمة الكذاب ، وكان الفتح لخالد يوم اليمامة ، وهو الذى فتح دمشق وأكثر بلاد الشام ، وله وقائع عظيمة فى الروم ، أيد الله بها الإسلام ، مات على فراشه ، وكان يقول : لقد شهدت كذا وكذا زحفا ، وما فى جسدى موضع شبر إلا وفيه طعنه أو ضربة أو رمية ، وها أنا أموت على فراشى لا نامت أعين الجبناء.. (رضى الله عنه).

عمرو بن معد يكرب الزبيدى :

فارس من فرسان الجاهلية ، وله مواقف مذكورة ، ومواطن مشهورة، وأسلم ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام ، وشهد حروب الفرس ، وكان له فيها أفعال عظيمة وأحوال جسيمة .

وكان عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) إذا رآه قال : الحمد لله الذى خلقنا وخلق عمرا .

وروى عنه أنه سأله يوما ، فقال له : يا عمرو أى السلاح أفضل فى الحرب ؟ قال : فعن أيها تسأل ؟ قال : ما تقول فى السهام ؟ قال : منها ما يخطئ ويصيب ، قال : فما تقول فى الرمح ؟ قال : أخوك وربما خانك ، قال : فما تقول فى الترس ؟ قال : هو الدائر ، وعليه تدور الدوائر ، قال : فما تقول فى السيف ؟ قال : ذلك العدة عند الشدة .

ونزل يوم القادسية على النهر ، فقال لأصحابه : إننى عابر على هذا الجسر ، قال : فإن أسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتمونى وسيفى بيدى أقُاتل به تلقاء وجهى ، وقد عرفنى القوم ، وأنا قائم بينهم ، وإن أبطأتم وجتمونى قتيلا بينهم ، ثم انغمس فحمل على القوم ، فقال بعضهم لبعض : يا بنى زبيد علام تدعون صاحبكم ، والله مافطن أنكم تدركونه حيا ، فانتبهوا إليه ، وقد صرع عن فرسه ، وقد أخذ برجل فرس رجل من العجم، فأمسكها والفارس يضرب فرسه ، فلم تقدر أن تتحرك ، فلما رآنا أدركناه رمى الرجل نفسه وخلى فرسه ، فركبه عمرو وقال : أنا أبو ثور كدتم والله تفقدوننى ، فقالوا : أين فرسك ؟ فقال : رمى بنشابة ، فطار وشب فصرعنى ، ويروى أنه حمل القادسية على رستم وهو الذى كان قدمه يزدجر ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين ، فاستقبله عمرو وكان رستم على فيل ، فضرب عمرو الفيل ، فقطع عرقوبه ، فسقط رستم وسقط الفيل عليه مع خرج كان فيه أربعون ألف دينار ، فقتل رستم وانهزمت العجم.

وقتل عمرو بنهاوند فى وقعة الفرس بعد أن عمر حتى ضعف وكان من الشعراء المعدودين .

طليحة الأسدى :

وكان طليحة من أكبر الشجعان جاهلية ، واسلاما ، ثم ارتد وثنيا ، وجمع جمعا عظيما ، كان يتكهن ، ثم عاد إلى الإسلام ، وشهد حرب القادسية ، وغيرها من الفتوح .

المقداد بن الأسود :

كان المقداد بن الأسود (رضى الله عنه) من أشجع الفرسان شديد البأس قوى الجنان رابط الجأش ، وله فى الشجعان اسم مشهور وصف مذكور يعجز الواصف عن وصف صفاته .

سعد بن أبى وقاص الزهرى الأنصارى :

كان (رضى الله عنه) فارسا بطلا راميا ، وهو أول من رمى فى سبيل الله بسهم ، ولما قتل عثمان (رضى الله عنه) اعتزل ، ولم يشهد الحرب بعده ومات حتف أنفه .

أبو دجانة الأنصارى :

خرج (رضى الله عنه) يتبختر بين الصفين ، فقال النبى ﷺ : إنها مشية يبغضها الله تعالى إلا فى هذا الموضع .

المثنى بن حارثة الشيبانى (رضى الله عنه) :

هو أول من فتح حرب الفرس ، وأبو عبيد بن مسعود الثقفى (رضى الله عنهما) قاتل القوم يوم قس الناطف فى حرب القادسية .

عمار بن ياسر :

عمار بن ياسر (رضى الله عنه) صاحب رسول الله ﷺ الذى قال فيه : "الحق يدور مع عمار حيث دار ، وأخبر أنه تقتله الفئة الباغية ، فقتل بصفين مع على (رضى الله عنه) .

هاشم بن عتبة :

من أكابر الشجعان ، صاحب راية على (رضى الله عنه) بصفين .

مالك بن الحرث النخعى الأشتر :

مات (رضى الله عنه) مسموما فى شربة عسل ، فقال معاوية : إن لله جنودا منها العسل .

القعقاع بن عمرو التميمى :

هو (رضى الله عنه) طاعن الفيل عشية القادسية .

الطبقة الثانية :

عبد الله بن الزبير بن العوام (رضى الله عنه) :

قاتل جرجير ملك أفريقية الذى كان يرى أنه أشجع أهل عصره ، قال عمر بن عبد العزيز لابن مليكة : صف لى عبد الله بن الزبير ، فقال : والله ما رأيت جلدا قط ركب على لحم ولا لحما على عصب ولا عصبا على عظم مثل جلده ولحمه وعصبه ، ولا رأيت نفسا بين جنبين مثل نفس ركبت بين جنبيه .

ولقد قام يوما إلى الصلاة ، فمر حجر من حجارة المنجنيق بين لحييه وصدره ، فوالله ما خشع له بصره ولا وقطع قراءته ، ولا ركع دون الركوع كان يركع .

قتله الحجاج بعد أن حوصر بمكة ، أسلمه أصحابه وعشيرته ، وصلبه الحجاج رحم الله عبد الله بن الزبير ورضى عنه .

محمد بن الحنفية (رضى الله عنه) :

و هو أبو هاشم محمد بن على بن أبى طالب بن الحنفية (رضى الله عنه) ، وكان أبوه يلقيه فى الوقائع وتتقى به العظائم ، وهو شديد البأس ، ثابت الحنان ، قيل له يوما : ما بال أمير المؤمنين على يقحمك الحروب دون الحسن والحسين (رضى الله عنهما) ؟ فقال : لأنهما كانا عينيه وكنت أنا يديه ، فكان يتقى عينيه بيديه .

وقيل : إن أباه عليا (رضى الله عنه) اشترى درعا فاستطالها ، فأراد أن يقطع منها ، فقال له محمد : يا أبت علم موضع القطع ، فعلم على موضع منها ، فقبض محمد بيده اليمنى على ذيلها ، وبالأخرى على موضع العلامة ، ثم جذبها ، فقطعها من الموضع الذى حده أبوه .

وكان عبد الله بن الزبير مع تقدمه فى الشجاعة يحسده على قوته ، وإذا حدث بهذا الحديث غضب . مات حتف أنفه بشعب رضوى .

مصعب بن الزبير بن العوام (رضى الله عنه) :

شجاع بطل جواد ، جاد بماله ونفسه ، قتله عبيد الله بن زياد فى الحروب التى كانت بينه بين عبد الملك بن مروان .

عمير بن الحباب السلمى :

فارس الإسلام قتله بنو تغلب فى الحرب التى كانت بينهم وبين قيس .

مسلمة بن عبد الملك بن مروان : فحل بنى أمية وفارسها ووالى حروبها، قيل : أنه جلس يما ليقضى بين الناس بمصر ، فكلمته امرأة ، فلم

يقبل عليها ، فقالت : ما رأيت أقل حياء من هذا قط ، فكشف عن ساقه فإذا فيها أثر تسع طعنات ، وقال لها : هل ترين أثر هذا الطعن ؟ والله لو أخرت رجلى قيد شبر ما أصابتنى واحدة منهن ، وما منعنى من تأخيرها إلا الحياء ، وأنت تنحلينى(١) قلته .

الخليفة المعتصم :

بطل شجاع ، فارس شديد لم يكن فى بنى العباس أشجع منه ولا أشد قلبا ، قال بن أبى داود ، كان المعتصم يقول لى : يا أبا عبد الله عض على ساعدى بأكثر قوتك ، فأقول والله يا أمير المؤمنين ما تطيب نفس بذلك، فيقول : إنه لا يضرنى فأروم ذلك ، فإذا هو لا تعمل فيه الأسنة ، فكيف تعمل فيه الأسنان .

طعنه بعض الخوارج ، وعليه درع ، فأقام المعتصم ظهره فقصم الرمح نصفين وكان يشد يده على كتابة الدينار فيمحوها ، ويأخذ عمود الحديد فيلويه حتى يصير طوقا فى العنق .

قلت : وقد هجم عليه أسد فلم يراع وهجم على الأسد وقتله .

إبراهيم بن الأشتر النخعى :

كان من الشجعان المعدودين ، حارب عبيد الله بن زياد وهو فى أربعة آلاف ، وعبيد الله فى سبعين ألفا ، فظفر به وقتله بيده وهزم جيشه .

عبد الله بن الحر الجعفى :

---

(١) النحلة العطية والمقصود أنه تصفه بقلة الحياء .

شجاع شاعر فاتكا مغيراً ، شاعراً ، قهر أهل اليمامة ، وأبادهم ، فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب إلى عامله يوبخه بتغلب جحدر عليه ، ويأمره بالتجرد له حتى يقتله ، أو يحمله إليه أسيرا ، فوجه العامل إليه فتية بن بنى حنظلة ، جعل لهم جعلاٍ (أجرا) عظيما إن هم قتلوا جحدرا أو أتوا به أسيرا ، فتوجه الفتية فى طلبه حتى إذا كانوا قريبا منه أرسلوا يقولون له : إنهم يريدون الإنقطاع إليه والارتفاق به ، فوثق بذلك منهم ، وسكن إلى قولهم ، فبينما هو معهم إذ وثبوا عليه فشدوه وثاقه ، وقدموا به على العامل، فوجه به إلى الحجاج معهم ، فلما قدموا به عليه ومثل بين يديه قال له : أنت جحدر ؟ قال : نعم ، أصلح الله الأمير ، قال : ما جرأك على ما بلغنى عنك ؟ قال : أصلح الله الأمير ، كلب الزمان ، وجفوة السلطان وجرأة الجنان .

قال : وما بلغ أمرك ؟ قال : لو ابتلانى الأمير ، وجعلنى مع الفرسان لرأى منى ما يعجبه ، قال : فتعجب الحجاج من ثبات عقله، ومنطقه ، ثم قال : يا جحدر إنى قاذف بك فى حاجر فيه أسد عظيم ، فإن قتلك كفانا مؤنتك ، وإن قتلته عفونا عنك .

قال : أصلح الله الأمير قرب الفرج إن شاء الله تعالى ، فأمر به فصفدوه بالحديد ، ثم كتب إلى عاملة إن يرتاد له أسداً ويحمله إليه ، فتحيل العامل وارتاد له أسداً كاسرا خبيثا قد أفنى عامة المواشى ، فتحيلوا حتى أخذوه وصيروه فى تابوت وسحبوه على عجل .

فلما قدموا به على الحجاج أمر به فألقى فى الحاجر ولم يطعم شيئا ثلاثة أيام حتى جاع واستكلب ، ثم أمر بجحدر أن ينزلوه إليه ، فأعطوه

سيفا وأنزلوه إليه مقيدا ، وأشرف الحجاج والناس حوله ينظرون إلى الأسد ما هو صانع بجحدر ، فلما نظر الأسد إلى جحدر نهض ووثب وتمطى وزعق زعقة دويت منها الجبال ، وارتاعت أهل الأرض ، فشد عليه جحدر ، وهو ينشد ويقول :

ليث وليث فى مجال ضنــك كلاهمـا ذو قــوة وســـفك

وصــولة وبطشـــة وفتــك إن يكشف الله قناع الشـك

فأنت لى فى قبضتى وملكى

ثم دنا منه وضربه بالسيف ففلق هامته ، فكبر الناس وأعجب الحجاج ذلك ، وقال : لله درك ما أنجبك ، ثم أمر به ، فأخرج من الحاجر وفك عنه قيوده وقال له : اختر إما أن تقيم معنا فنكرمك ، ونقرب من منزلتك ، وإما أن نأذن لك ، فتلحق ببلادك وأهلك على أن تضمن لنا أن لا تحدث بها حدثا ، ولا تؤذى بها أحدا ، قال : بل اختار صحبتك أيها الأمير ، فجعله من سماره وخواصه ، ثم يلبث أن ولاه على اليمامة .

اليسر بعد العسر

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الشورى]

وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [يوسف]

ويروى عن ابن مسعود (رضى الله عنه) ، عن النبى ﷺ قال : "لو كان العسر فى حجر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه" ، وقال عليه الصلاة والسلام : "عند تناهى الشدة يكون الفرج ، وعند تضايق البلاء يكون الرخاء" .

وقال على (رضى الله عنه) عن النبى ﷺ : أفضل عبادة أمتى انتظارها فرج الله تعالى .

وقال الحسن : "لما نزل قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ ﴾ [الشرح] ، قال النبى ﷺ : "أبشروا فلن يغلب عسر يسرين" .

وقال إبراهيم بن العباس :

ولرب نازلة يضـيق بهـا الفتى ... ذرعا وعند الله منـها المخـرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجـت وكان يظنهـا لا تفـرج

حصول الفرج بعد الشدة :

روى أن الوليد بن عبد الله كتب إلى صالح بن عبد الله عامله على المدينج المنورة ، أن أخرج الحسن بن الحسن بن على من السجن وكان محبوسا وأضربه فى مسجد رسول الله ﷺ خمسمائة سوط ، فأخرجه إلى المسجد واجتمع الناس ، وصعد صالح يقرأ عليهم الكتاب ثم نزل ولم يأمر بضربه ،

فبينما هو يقرأ الكتاب إذ جاء على بن الحسين (رضى الله عنه) ،

فأخرج له الناس حتى أتى إلى جنب الحسن ، فقال يا ابن العم مالك ادع الله تعالى بدعاء الكرب يفرج الله عنك ، قال : ما هو يا ابن العم ؟

فقال : لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله العلى العظيم ، سبحان رب السموات والأرض رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين، ثم انصرف عنه ، وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ صالح من قراءة الكتاب ونزل قال : أراه فى سجنه مظلوما أخرجوه وأنا أراجع أمير المؤمنين فى أمره فأطلق بعد أيام وأتاه الفرج من عند الله تعالى .

وقال الربيع لما حبس المهدى موسى بن جعفر ، رأى فى المنام عليا (رضى الله عنه) ، وهو يقول : يا محمد فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ، قال الربيع : فأرسل المهدى إلىّ ليلا فراعنى ذلك ، فجئته ، فإذا هو يقرأ هذه الآية ، كان حسن الصت ، فقص على الرؤيا ثم قال : أئتنى بموسى ابن جعفر ، فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه ، وقال : يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين يقرأ على كذا فعاهدنى أن لا تخرج على ولا على أحد من ولدى .

فقال: والله ما ذاك من شأنى ، فقال : صدقت ، ثم قال يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار ورده إلى أهله بالمدينة ، قال الربيع : فأحكمت أمره ليلا ، فما أصبح إلا على الطريق .

وقال إسماعيل بن بشار :

وكل حـر وإن طالت بليته   يوما تفرج غماه وتنكشف

وقال سليم بن الوليد : كنت يوما جالسا عند خياط بإزاء منزلى فمر

بى إنسان أعرفه فقمت إليه وسلمت عليه وجئت به إلى منزلى لأضيفه وليس معى درهم بل كان عندى زوج أخفاف ، فأرسلتهما مع جاريتى لبعض معارفها فباعتهما بتسعة دراهم اشترت بها ما قلته لها من الخبز واللحم ، فجلسنا نأكل وإذا بالباب يطرق فنظرت من شق الباب وإذا بإنسان يسأل هذا منزل فلان ؟ ففتحت الباب وخرجت ، فقال أنت مسلم بن الوليد ، قلت: نعم ، واستشهدت له بالخياط على ذلك فأخرج كتابا وقال هذا من الأمير يزيد بن مزيد ، فإذا فيه : قد بعثنا لك بعشرة آلاف درهم لتكون فى منزلك وثلاثة آلاف درهم تتجمل بها لقدومك علينا ، فأدخلته إلى دارى ، وزدت فى الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا فأكلنا ثم وهبت لضيفى شيئا يشترى به هدية لأهله وتوجهنا إلى باب يزيد بالرفة فوجدناه فى الحمام ، فلما خرج استؤذن لى عليه فدخلت فإذا جالس على كرسى وبيده مشط يسرح به لحيته فسلمت عليه فرد أحسن رد وقال : ما الذى أقعدك عنا ؟ قلت : قلة ذات اليد وأنشدته قصيدة مدحته بها ، قال : أتدرى لم أحضرتك؟ قلت : لا أدرى ، قال : كنت عند الرشيد منذ ليال أحادثه ، فقال لى يا يزيد من القائل فيك هذه الأبيات :

سلّ الخليفة سيفا من بنى مضــر

يمضى فيخترق الأجسام والسهاما[1]

كالدهـــر لا يفشى عما يهــم بــه

قد أوسع الناس إنعاما وارغامــا

---

(١) الرقاب .

فقلت الله لا أدرى يا أمير المؤمنين ، فقال : سبحان الله ، أيقال فيك مثل هذا ولا تدرى من قاله ؟ فسألت فقيل لى هو مسلم بن الوليد ، فأرسلت إليك فانهض بنا إلى الرشيد ، فسرنا إليه واستؤذن لنا فدخلنا عليه فقبلت الأرض فرد على السلام فأنشدته ما لى فيه من شعر ، فأمر لى بمائتى ألف درهم ، وأمر لى يزيد بمائة وتسعين ألف درهم ، قال : ما ينبغى لى أن أساوى أمير المؤمنين فى العطاء فانظر إلى هذا التيسير الجسيم بعد العسر العظيم .

فك الأسير

ولما وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد إلى العراق ليطلق أهل السجون ويقسم الأموال ، ضيق على يزيد بن أبى مسلم فلما ولى يزيد بن عبد الملك الخلافه ولى يزيد بن أبى مسلم أفريقية ، وكان محمد بن يزيد واليا عليها فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن أبى مسلم وشدد فى طلبه فأتى به إليه فى شهر رمضان عند المغرب وكان فى يد يزيد بن أبى مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن يزيد حين رآه : يا محمد بن يزيد ، قال : نعم ، قال : طالما سألت الله أن يمكننى منك ، فقال : وأنا والله طالما سألت الله أن يجيرنى منك ، فقال : والله ما أجارك ولا أعاذك ، وإن سبقنى ملك الموت إلى قبض روحك سبقته ، والله لا آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك ، ثم أمر به فكتف ووضع النطع وقام السياف فأقيمت الصلاة ، فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلى ، وكان أهل أفريقية قد أجمعوا على قتله فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله ، وقيل لمحمد بن يزيد اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الأمير وفك الأسير .

لا أعود إلى معصية أبدا

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى : رأيت رسول الله ﷺ فى النوم وهو يقول : أطلق القاتل ، فارتعت لذلك ودعوت بالشموع ونظرت فى أوراق السجن وإذا ورقة إنسان ادعى عليه : بالقتل وأقر به ، فأمرت باحضاره فرأيته وقد ارتاع فقلت له إن صدقتنى أطلقتك ، فحدثنى أنه كان هو وجماعة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة ، وإن عجوزا جاءت لهم بامرأة صارت عندهم صاحت الله الله وغشى عليها ، فلما أفاقت قالت : أنشدك الله فى أمرى فإن هذه العجوزه غرتنى وقالت إن فى هذه الدار نساء صالحات وأنا شريفة جدى رسول الله ﷺ وأمى فاطمة وأبى الحسين بن على فاحفظوهم فى .

فقمت دونها وناضلت عنها فاشتد على واحد من الجماعة ، وقال لابد منها وقاتلنى فقتله ، وخلصت الجارية (الفتاة) من يده ، فقالت : سترك الله كما سترتنى .

وسمع الجيران الصيحة فدخلا علينا فوجدوا الرجل مقتولا السكين بيدى فأمسكونى وأتوا بى إليك وهذا أمرى .

فقال إسحاق : قد وهبتك لله ولرسوله فقال : وحق الذين وهبتنى لهما لا أعود إلى معصية أبدا .

أخرنى إلى غد

وأمر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما حضر أمر بضرب عنقه

فقال : أيها الأمير أخرنى إلى غد ، قال وأى فرج لك فى تأخير يوم واحد ؟ ثم أمر برده إلى السجن فسمعه الحجاج فى السجن يقول :

عسى فرج يأتى به الله إنه   له كل يوم فى خليقتـه أمر

فقال الحجاج : والله ما أخذه إلا من كتاب الله وهو قوله تعالى : ﴿ ... كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن] ، وأمر بإطلاقه .

أطلق الجمال

وقال بعض جلساء المعتمد : كنا بين يديه ليلة فخفق رأسه بالنعاس فقال : لا تبرحوا حتى أغفى سويعه ، فغفا ساعة ثم أفاق جزعا مرعوبا وقال : امضوا إلى السجن وأئتونى بمنصور الجمال فجاؤوا به فقال له : كم لك فى السجن ؟

قال : سنة ونصف ، قال : على ماذا ؟ قال : أنا جمال من أهل الموصل وضاق على الكسب ببلدى فأخذت جملى وتوجهت إلى بلد غير بلدى لأعمل عليه فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مستقيمى الحال وهم مقدار عشرة أنفس وجدوهم يقطعون الطريق فدفع واحد منهم شيئاً للأعوان فأطلقوه وأمسكونى عوضه وأخذوا جملى فناشدتهم الله فأبوا وسجنت أنا والقوم ، فأطلق بعضهم ومات بعضهم وبقيت أنا فدفع له المعتمد خمسمائة دينار وأجرى له ثلاثين دينار فى كل شهر وقال : اجعلوه على جمالنا ، ثم قال :

أتدرون ما سبب فعل هذا ؟ قلنا : لا ، قال : رأيت رسول الله ﷺ وهو يقول أطلق منصور الجمال من السجن وأحسن إليه .

كلبة ترضع طفلا

أخذ الطاعون أهل بيت فسد بابه ، ففضل فيه طفل يرضع لم يشعر به أحد ففتح الباب بعد شهر فوجدوا الطفل قد عطف الله عليه كلبة ترضعه مع جرو لها .

قلت : نشر فى إحدى الجرائد منذ شهور أن امرأة ماتت وبابها مغلق عليها لم يشعر بها أحد مدة خمسة عشر يوما ولما فتحوا باب شقتها وجدوا طفلها الرضيع يرضع من ثديها ويخرج له اللبن من ثدى أمه التى ماتت فسبحان القادر الرحيم .

قال الشاعر :

إذا تضايق أمر فانتظر فرجا   فأضيق الأمر أدناه إلى الفرج

وقال آخر :

فلا تجزعن إن أظلم الدهر مرة   فإن اعتكار الليل يؤذن بالفجر

وقال آخر :

هى الأيام والغير   وأمر الله يُنتظر

اتيأس أن ترى فرجا   فأين الله والقدر

يطلبان من الله الغوث

ويروى أن سلطان صقلية أرق ذات ليلة ومنع النوم ، فأرسل إلى قاعد البحر وقال له : أنفذ الآن مركبا إلى أفريقية يأتونى بأخبارها ، فعمد القائد

إلى مقدم مركب وأرسله فلما أصبحوا إذا بالمركب فى موضعه كأنه لم يبرح ، فقال الملك لقائد البحر : أليس قد فعلت ما أمرتك به ؟

قال : نعم، قد امتثلت أمرك وأنفذت مركبا فرجع بعد ساعة وسيحدثك مقدم المركب ، فأمر باحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك : ما منعك أن تذهب حيث أمرت ؟ قال : ذهبت بالمركب فبينما أنا فى جوف الليل والرجال يحدثون إذا بصوت يقول : يا الله يا الله ياغياث المستغثين يكررها مراراً ، فلما استقر صوته فى أسماعنا ناديناه مراراً لبيك لبيك وهو ينادى يا الله يالله ياغياث المستغثين ، فجدفنا بالمركب نحو الصوت فلقينا هذا الرجل غريقا فى آخر رمق من الحياة فطلعنا به المركب سألناه عن حاله .

فقال : كنا مقلعين من أفريقية فغرقت سفينتنا منذ أيام وأشرفت على الموت ومازلت أصيح حتى أتانى الغوث من ناحيتكم ، فسبحان من أسهر سلطان وأرقه فى قصره لغريق فى البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلاث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحدة .

ما كنت لآخذ على أمانتى مالا

وجاء فى كتاب سراج الملوك للطرطوشى قال : أخبرنى أبو الوليد الباجى عن أبى ذر قال : كنت أقرأ على الشيخ أبى حفص عمر بن أحمد بن شاهين ببغداد جزء من الحديث فى حانوت رجل عطار ، فبينما أنا جالس معه فى الحانوت إذ جاء رجل من الطوافين يبيع العطر فى طبق يحمله على يده ، مدفع إليه عشرة دراهم قال له : أعطنى بها أشياء سماها له من العطر فأعطاه إياها فأخذها فى طبقه وأراد أن يمضى فسقط الطبق

من يديه فانكب جميع ما فيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال أبو حفص لصاحب الحانوت : لعلك تعينه على بعض هذه الأشياء ، فقال سمعا وطاعة ، فنزل وجمع له ما قدر على جمعه ودفع له ما عدم منها ، وأقبل الشيخ على الطواف يصبره، ويقول له لا تجزع فأمر الدنيا أيسر من ذلك.

فقال الطواف :

أيها الشيخ ليس جزعى لضياع ما ضاع لقد علم الله تعالى أنى كنت فى القافلة الفلانية فضاع لى هميان (حزام جلد توضع فيه الدراهم) فيه أربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها كذلك فما جزعت لضياعها حيث كان لى غيرها من المال ، ولكن ولد لى ولد فى هذه الليلة فاحتجنا لأمه ما تحتاج النفساء ، ولم يكن عندى غير هذه العشرة دراهم فخشيت أن أشترى بها حاجة النفساء فأبقى بلا رأس مال ، وأنا قد صرت شيخا كبيرا لا أقدر على التكسب .

فقلت : فى نفس اشترى بها شيئا من العطر فأطوف به صدر النهار فعسى استفضل شيئا أسد به رمق أهلى ويبقى رأس المال أتكسب به ، واشتريت بها هذا العطر ، فحين انكب الطبق علمت أنه لم يبق لى إلا الفرار منهم ، فهذا الذى أوجب جزعى .

قال أبو حفص : وكان رجل الجند جالسا إلى جانبى يستوعب الحديث ، فقال : للشيخ أبى حفص : يا سيدى أريد أن تأتى بهذا الرجل إلى منزلى ، فظننا أن يعطيه شيئا ، قال : فدخلنا إلى منزله فأقبل على الطواف (البائع المتجول) وقال له : عجبت من جزعك ، فأعاد عليه القصة

فقال له الجندى : كنت فى تلك القافلة ؟ قال : نعم ، وكان فيها فلان فعلم الجندى صحة قوله فقال :

وما علامة الهميان وفى أى موضع سقط منك ؟ فوصف له المكان والعلامة ، قال الجندى : إذا رأيته تعرفه ، قال : نعم ، فأخرج الجندى له هميانا ووضعه بين يديه فحين رآه صاح وقال : هذه هميانى والله وعلامة صحة قولى أن فيه من الفصوص ما هو كيت وكيت ففتح الهميان ووضعه بين يديه فوجده كما ذكر .

فقال الجندى : خذ مالك بارك الله لك فيه ، فقال الطواف إن هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير وأكثر فخذها وأنت فى حل منها ونفسى طيبة بذلك ، فقال : الجندى ما كنت لآخذ على أمانتى مالا ، وأبى أن يأخذ شيئا ثم دفعها للطواف جميعها فأخذها ومضى ودخل الطواف وهو من الفقراء وخرج وهو من الأغنياء .

برئ من مرضه

وحكى أن الملك ناصر الدولة من آل حمدان كان يشك وجع القولنج (القولون) حتى أعيا الأطباء دواؤه ولم يجدوا له شفاء ، فدسوا على قتله وأرصدوا له رجلا معه خنجر فلما كان فى بعض دهاليز القصر وثب عليه ذلك الرجل وضربه بالخنجر فجاءت الضربة أسفل خاصرته لم تخط المعى الذى فيه القولون فخرج ما فيه من الخلط فعافاه الله تعالى وبرىء أحسن ما كان .

أصبحوا فى عافية

نزلت قافلة بقرية خربة، فأدوا إلى دار خربة هناك فاستكنوا فيها من الرياح والأمطار واستوقدوا نارهم وسووا معيشتهم ، وكان فى تلك الخربة حائط مائل قد أشرف على الوقوع ، فقال رجل منهم : يا هؤلاء لا تقعدوا تحت هذا الحائط ولا يدخلن أحد فى هذه البقعة فأبوا إلا دخولها فاعتزلهم ذلك الرجل وبات خارجا عنهم ، ولم يقرب ذلك المكان ، فأصبحوا فى عافية وحملوا على دوابهم ، فبينما هم كذلك إذ دخل ذلك الرجل إلى الدار ليقضى حاجته فخر عليه الحائط فمات لوقته .

عفا عن الخائن

كان رجل من التجار سكن فى دار وكان ممن يسافر إلى الكوفة فى تجارة الخز ، فاتفق أنه جعل جميع ما معه من الخز فى خرج وحمله على حماره وسار مع القافلة ، فلما نزلت القافلة أراد انزال الخرج عن الحمار فثقل عليه فأمر إنسانا هناك فأعانه على إنزاله ، ثم جلس يأكل فاستدعى ذلك الرجل ليأكل معه فسأله عن أمره فأخبره أنه من أهل الكوفة وأنه خرج لحاجة عرضت له بغير نفقة ولا زاد ، فقال له الرجل كن رفيقى آنس بك وتعيننى على سفرى ونفقتك ومؤنتك على ، فقال له الرجل .

وأنا أيضا أختار صحبتك وأرغب فى مرافقتك ، فسار معه فى سفره وخدمه أحسن خدمة إلى أن وصلا إلى تكريت ، فنزل الرفقة خارج المدينة ودخل الناس إلى قضاء حوائجهم ورجع فلم يجد القافلة ولا صاحبه ، ورحلت الرفقة ولم ير أحدا ، فظن أنه لما رحلت الرفقة رحل ذلك الخادم معهم

فلم يزل يسير ويجد فى السير إلى أن أدرك القافلة بعد جهد عظيم وتعب شديد ، فسألهم عن صاحبه فقالوا ما رأيناه ولا جاء معنا ولكنه ارتحل على أثرنا فظننا أنك أمرته فكر الرجل راجعا إلى تكريت وسأل عن صاحبه فقالوا لم نجد له أثرا ولم نسمع له خبرا ، فيئس منه ورجع إلى الموصل مسلوب المال فوصلها نهارا فقيرا جائعا عريانا مجهودا فاستحى أن يدخلها نهارا فتشمت به الأعداء ، وخشى أن يحزن الصديق إذ رآه على تلك الحالة ، فاستخفى إلى الليل ثم عاد إلى داره فطرق الباب فقيل له من هذا ؟

قال : فلان يعنى نفسه ، فأظهروا له سرورا عظيما وحاجة إليه وقالوا: الحمد لله الذى جاء بك فى هذا الوقت على ما نحن فيه من الضرورة والحاجة ، فإنك أخذت مالك معك ، وما تركت لنا نفقة كافية ، وأطلت سفرك واحتجنا وقد وضعت زوجتك اليم والله ما وجدنا ما نشترى به شيئا للنفساء، فأتنا بدقيق ودهن نسرج به علينا فلا سراج عندنا ، فلما سمع ذلك ازداد غما على غمه وكره أن يخبرهم بحاله فيحزنهم بذلك فأخذ وعاء للدهن ووعاء للدقيق وخرج إلى حانوت أمام داره وكان فيه رجل يبيع الدقيق والزيت والعسل ونحو ذلك .

وكان البياع قد أطفأ سراجه وأغلق حانوته ونام ، فناداه فعرفه فأجابه ، وشكر الله على سلامته ، فقال له افتح حانوتك وأعطنا ما نحتاج إليه من دقيق وعسل دهن ، فنزل البائع إلى حانوته وأوقد المصباح ووقف يزن له ما طلب ، فبينما هو كذلك إذ حانت من التاجر التفاته إلى قعر الحانوت فرأى خرجه الذى هرب به صاحبه فلم يملك نفسه أن وثب إليه والتزمه ، وقال : يا عدو الله ائتنى بمالى ، فقال له البائع : ما هذا يا فلان ؟

والله ما علمتك متعديا وأنا أبدا ما جنيت عليك ولا على غيرك فما هذا الكلام ؟

قال : هذا خرجي هرب به خادم كان يخدمنى وأخذ حمارى وجميع مالى ، فقال البائع والله ما لى بعلم غير أن رجلا ورد على بعد المساء واشترى منى عشاءه وأعطانى هذا الخرج فجعلته فى حانوتى وديعة إلى حين يصبح ، والحمار فى دار جارنا والرجل فى المسجد نائم .

قال : احمل معى الخرج وامض بنا إلى الرجل فرفع الخرج على عاتقه ومضى معه إلى المسجد فإذا الرجل نائم فى المسجد فوكزه برجله فقام الرجل مرعوبا فقال مالك ؟

قال : أين مالى يا خائن ؟ قال : هاهو خرجك فوالله ما أخذت منه ذرة ، قال ، فأين الحمار وآلته قال هو عند هذا الرجل الذى معك ، فعفا عنه وخلى سبيله ومضى بخرجه إلى داره فوجد متاعه سالما فوسع على أهله وأخبرهم بقصته فازداد سرورهم وفرحتهم وتبركوا بذلك المولود فسبحانه من لا يخيب من قصده ولا ينسى من ذكره .

وروى عن ابن عمر (رضى الله عنه) قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله : كم تعفو عن الخادم ؟ ثم أعاد عليه فصحت ، فلما كانت الثالثة قال له : اعفو عنه كل يوم سبعين مرة .

الفهرس